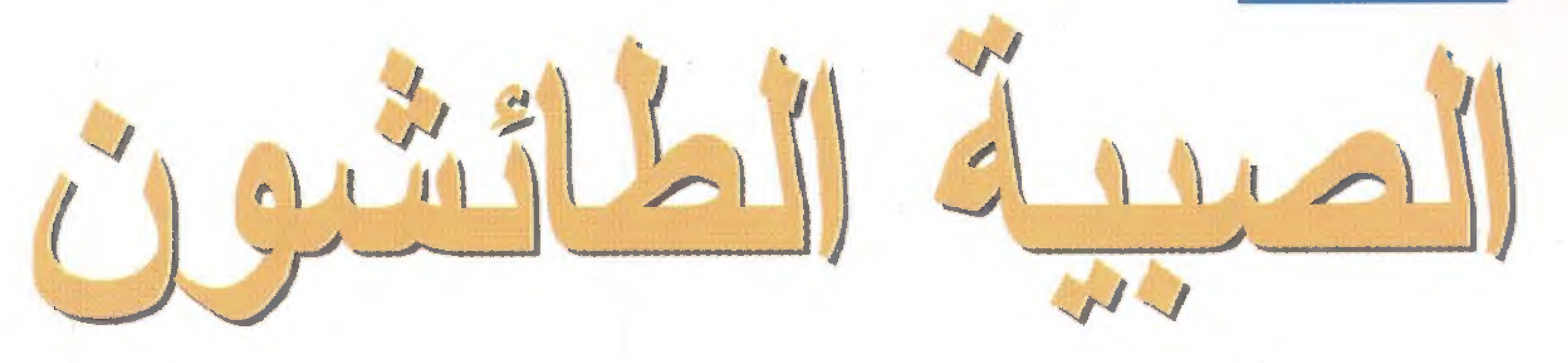




المشروع القومي للترجمة

تأليف
جان كوكتو

ترجمة
بكر الحلو



الصبية الطائشون

347

المشروع القومى للترجمة

الصبية الطائشون

(روايـــة)

تأليف : چان كوكتو

ترجمة : بكر الحلو



٢٠٠٢

المشروع القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد ٣٤٧
- الصبية الطائشون (رواية)
- چان كوكتو
- بكر الحلو
- الطبعة الأولى ٢٠٠٢

ترجمة كاملة لرواية :
Les Enfants Terribles
تأليف : Jean Cocteau
الصادرة عن : Bernard Grasset
1993

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤
El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo
Tel : 7352396 **Fax :** 7358084 **E.Mail** : asfour@onebox.com

مقدمة

جان كوكتو Jean Cocteau كاتب مسرحي، وروائي ، وشاعر، وكاتب مقالات في جريدة الفيجارو الأدبية ، تحت عنوان صور ـ ذكـريات Portraits _ Souvenirs .

ولد في مدينة ميزون لافيت عام ١٨٨٩م ، وتوفي في ميلي ـ لا ـ فوريه، عام ١٩٦٣م .

كان كوكتو ذا موهبة جارفة في جميع الفنون الأدبية ، ومع ذلك جذبه المسرح .

* كتب أولاً **مشاهد باليه موسيقية** : باليه الإله الأزرق Le Dieu Bleu ، وباليه الاستعراض Parade في سنة ١٩١٧م، الذي صمم ديكوراته بيكاسو Picasso، ووضع موسيقاه ساتي Satie .

* كما كتب **مآسي إيمائية** : الثور فوق السطح Le Boeuf Sur le toi عام ١٩٢٧م ، وفيها يسخر كوكتو من السابقين الذين كونوا فكرة متجمدة عن التراث الكلاسيكي ومن المحدثين الذين يلجأون إلى الفوضى اللغوية. ورينو وأرميد Renaut et Armide ، في عام ١٩٤١م، وعرسان برج إيفل Les Mariés de lq tour Eif-fel ، في عام ١٩٢١م ، وهي تجمع بين الدراما والإيماء والرقص.

* ثم تناول **المسرح الإغريقي** : مسرحية أنتيجون Antigone وأوديب ملكا Oedipe roi لسوفوكليس في ١٩٢٢م ، ثم الآلة الجهنمية La Machine Infernale في ١٩٣٤م ، التي عُرضت على المسرح في

١٩٤١م ، وبسببها هاجمته الصحافة المتعاونة مع الألمان هجوماً عنيفاً. ومسرحية أورفيه **Orphée** فى عام ١٩٢٥، وهى أسطورة الشاعر «أورفيه» الذى أراد أن يستعيد زوجته «أوريديس» **Euridyce** التى تتعذب فى الجحيم بسبب تركها عبادة القمر، واتفق مع الإله أن ينقذها بشرط ألا ينظر إليها فى طريق العودة إلى الأرض ، ونظر إليها وفقدها.

* كتب عدة **روايات** منها : الاعتزال العظيم **Le grand Ecart** ، وتوما الدجال **Thomas l'imposteur** فى عام ١٩٢٢م ، والصبية الطائشون **Les Enfants Terribles** فى عام ١٩٢٩م فى مصحة سان كلو عندما ذهب للعلاج من إدمان الأفيون ، وفى هذه المصحة كتب يومياته عن هذا العلاج ، وظهرت هذه اليوميات فى ١٩٣٠م تحت عنوان أفيون **Opium** .

* كتب **مسرحيات درامية** : دم شاعر **Le Sang d'un poéte** سنة ١٩٣٠م، وهذه المسرحية تتناول قصة أوديب، كما تتناول خيال العصور الوسطى فى فرسان المائدة المستديرة **Les chevaliers de la table ronde** فى ١٩٣٧، وتدور هذه المسرحية حول الصراع بين الحق والباطل ، بين الحقيقة والزيف ، بين الصدق والكذب ، والوحوش المقدسة **Les Monstres Sacrés** فى عام ١٩٤٠، والنسر ذو الرأسين **L'Aigle à deux tétes** فى عام ١٩٤٦م ، استمد كوكتو هذه المسرحية من قصة لويس الثانى ملك بافاريا وإليزابيث إمبراطورة النمسا، وما عاناه كل منهما من آلام ، وموتهما الفاجع .

* وتناول كذلك أدب الرحلات : فقد بدأ طوافه حول العالم مع صديقه مارسل كيل ، وعاد إلى باريس، وعن هذه الرحلة نشر جان كوكتو كتاب تحت عنوان : رحلتى الأولى **Mon premier Voyage** فى فبراير ١٩٣٧م . ثم رحلة حول العالم فى ثمانين يوما **Le Tour du Monde en 80 Jours** ، على مسارح باريس، فنالت نجاحا ساحقا،

ثم نشرت فى العام نفسه .

* كتب كوكتو وأخرج العديد من الأفلام السينمائية وشرع فى إبريل عام ١٩٣٠م ، فى إخراج فيلم دم شاعر le Sang d'un poéte ، وعرض فى سنة ١٩٣٢م ، ثم أخرج بالاشتراك مع جان ديلانوى ، فيلم العودة الأبدية L'Eternel retour. وفى النصف الثانى من ١٩٤٥م أخرج بمفرده فيلما جديدا هو الجميلة والوحش La Belle et la Béte الذى استقبله الجمهور والنقاد استقبالاً حارا، وفى عام ١٩٤٧م كتب كوكتو سيناريو فيلم أورفيه Orphée ، وفى عام ١٩٤٩م حول رواية الصبية الطائشون إلى فيلم وقام بإخراجهما بالاشتراك مع جان بيير ملفيل ، وفى عام ١٩٥٠م عرض فيلم أورفيه فى مهرجان « كان »، ثم عرض فى باريس ثم فى ١٩٦٠م عرض له فيلم وصية أورفيه .

* فى مجال الرسم : رسم العديد من اللوحات الجدارية : رسومات على جدران فيلا سانتو ، وعندما أصيب بأزمة قلبية فى سنة ١٩٥٤ م وفى فترة النقاهة رسم مجموعة من اللوحات ، ثم بعد النقاهة انتهى من رسوماته الخاصة ليزين كنيسة عذراء نوتردام دى فرانس فى لندن، كما نفذ لوحات جدراية فى مدينة ماربيلا الإسبانية، ورسم غلاف رواية الصبية الطائشون ومسرحية الآباء الطائشون .

إن الدور الذى قام به كوكتو له أهمية كبيرة فى المسرح والشعر والموسيقى وكذلك فى الأدب الحديث .

كل عمل من أعماله هو ظاهرة تحمل لمسرح الطليعة إمكانيات جديدة : أنتيجون، أورفيه، الآلة الجهنمية وهى عودة نحو الماضى وإيحاء للأدب الإغريقى القديم ، فرسان المائدة المستديرة ، الوحوش المقدسة ، والنسر ذو الرأسين تعود بنا إلى ملاحم العصور الوسطى، وفى مسرحية رينو وأرميد، يعود إلى المأساة الكلاسيكية الشعرية

على طريقة شعراء القرن السابع عشر. أخيراً فى مسرحية الآباء الطائشون Les Parents Terribles فى ١٩٣٨م، التى نالت نجاحا ساحقا يثبت لنا أنه يستطيع كذلك أن يجدد المسرحيات الشعبية والهزلية، لمسرح البوليفار التى كانت تمثل فى الشوارع .

كان عام ١٩٥١م هو عصر المسرح الفكرى والأبحاث الحوارية عن الله والشيطان وأسس الحياة الإنسانية، أراد كوكتو أن ينافس سارتر فكتب مسرحية باخوس Bacchus وهى تعرض وجهة نظر أخلاقية صعبة هى مجمل مذهب كوكتو الأخلاقى ،وعرضت لأول مرة فى ٢٠ ديسمبر ١٩٥١م ، وأثارت الكثير من النقد والهجوم على كوكتو ، ثم أعيد عرضها فى أكتوبر سنة ١٩٥٢م فلقيت نجاحا باهرا، فنشرها كوكتو فى نفس العام .

لا تعود أهمية وأصالة مسرحيات كوكتو إلى النص فقط، ولكن أيضا لحداثتها وأسلوبه الخاص فى عرضها وإخراجها، وشخصياته الرائعة التى تتفق، دون شك ، مع الحياة .

إن مسرح كوكتو غير تقليدى ، مسرح هجومى ، يثير الحيرة ، ويوقظ الوعى والضمير، فليس كوكتو من رجال الأدب بل هو إنسان حى، وفنان مبدع خلاق، يعرض علينا، فى جميع الصور الأدبية، مشكلات إنسانية، مضيفا إليها نفحة من الشباب، والتجديد والنضارة .

بكر الحلو

الجزء الأول

(١)

يقع حى مونتييه القديم بين شارع أمستردام وشارع كليشى، وندخله من شارع كليشى عبر سور حديدى، ومن شارع امستردام عبر بوابة كبيرة مفتوحة دائماً تسمح بعبور السيارات، ورواق[١] ذو سقف معقود فى عمارة تطل على ساحة ذلك الحى، ساحة مستطيلة تماماً، تختفى فيها فنادق خاصة صغيرة تحت جدران مرتفعة ومسطحة لمجموعة من البيوت، وهذه الفنادق الصغيرة التى يعلوها زجاج ذو ستائر كستائر مصور، يبدو أنها تخص بعض الرسامين، وندرك بداهة أنها مملوءة بالأدوات الفنية والأقمشة الموشاة بالحرير والذهب، وأقمشة من التيل تمثل قططا فى سلال، وعائلات وزراء من بوليفيا، ويسكنها سيد مجهول مشهور[٢]، أعيته المطالب والرواتب الحكومية، ويحميه سكون هذه الساحة الإقليمية من القلق.

مرتان فى اليوم، فى الساعة العاشرة والنصف صباحاً، والساعة الرابعة مساءاً، يعكر صفو هذا السكون صياح مزعج، لان مدرسة كوندورسيه الصغيرة تفتح أبوابها أمام ٧٢ مكرر

من شارع أمستردام وأختار التلاميذ الساحة كحى عام. أنها ميدان لإضرابهم، إنها نوع من ميادين العصور الوسطى، ساحة للحب والألعاب والمعجزات وسوق للطوابع والبلى، مكان خطير تحكم فيه المحكمة على المذنبين وتنفذ عليهم الأحكام، وتدبر منذ مدة طويلة معاكسات التلاميذ لزملائهم الجدد والتى تنتهى فى حجرات الدراسة، ويدهش أعدادها المدرسين، فشباب الصف الخامس طائشون، والعام القادم سينقلون إلى الصف الرابع [٣] فى شارع كومرتان، وسيحتقرون شارع أمستردام، وسيكون لهم دور مهم، ويهجرون الحقيبة (حافظة الأوراق) ويحملون أربعة كتب مربوطة بحزام وقطعة مربعة من السجاد .

ولكن فى الصف الخامس عندما تستيقظ طاقتهم تجد نفسها مازالت خاضعة لغرائز الطفولة الغامضة، غرائز حيوانية ونباتية من الصعب أن ندهش لممارستها، فالذاكرة لا تحتفظ بها أكثر من ذكرى بعض الآلام، ويلتزم الأطفال الصمت عند اقتراب الأشخاص الكبيرة. يسكتون، ويتصرفون تصرفًا آخر، ويعرف هؤلاء الممثلون الكبار متى ينفشون أشواكهم فجأة مثل الحيوان أو يتسلحون بالتواضع الهادئ مثل النبات ولا ينشرون أبدا طقوس معتقداتهم الغامضة، ونكاد نعرف أن تلك الطقوس تتطلب ا لخداع والضحايا والأحكام الموجزة، والذعر، والألم والتضحية الإنسانية، وتظل التفاصيل غير واضحة، هؤلاء المثابرون لهم أسلوبهم الذى يمنعنا عن فهمهم إذا سمعناهم بالصدفة دون أن يرونا. هناك كل يتاجر، فى كرات العقيق

والطوابع، وتملأ النقود القليلة جيوب التجار وذوى الخبرة، ويخفى الصراخ هذه التجمعات غير القانونية وأعتقد لو أن أحد الرسامين، قابعا فى رفاهيته، سحب الحبل الذى يحرك الستار، فإن هؤلاء الفتية لن يقدموا له أحد الأسباب التى تروق له، ويمكن أن نطلق عليهم : منظفو المداخن يتراشقون بكرات الثلج، أو اليد العنيفة، أو الصبية الظرفاء الوقحون .

فى ذلك المساء كان هناك الثلج، يتساقط منذ عشية أمس، ومن الطبيعى أنه شكل منظراً آخر، وتتراجع الساحة إلى العصور القديمة، وكأن الثلج الذى توارى فى التراب الرغد لا ينزل فى أى مكان آخر ولا يتكدس إلا هناك .

كان التلاميذ العائدون إلى حجرة الدراسة يدمرون ، يسحقون ، يكدسون الأرض الصلبة الموحلة، ويتخلصون منها بخطوات واثبة، وكان الثلج القذر يكون آثاراً عميقة على طول مجرى ماء. وأخيراً هذا الثلج القذر أصبح ثلجًا حقيقيًا على درجات السلالم والمظلات الزجاجية أمام الأبواب وواجهات الفنادق الصغيرة، وهناك أشرطة من اللباد وحلية أفاريز وحزم ثقيلة من أشياد خفيفة بدلا من أن تقوى مسيرات الماء كانت تطفو بشكل مضطرب أهوج، وبفضل الثلج الذى يلمع بذاته، ومع رقة الواجهات المضاءة تجتاز النفس المترفة الحجارة وتظهر وتصبح بتلك الرقة التى تجعل الساحة صغيرة، وتزينها وتبهجها وتحولها إلى بهو خيالى .

فى الشارع كان المشهد أقل هدوءاً، ومصابيح الغاز تكاد

تضئ ما يشبه ساحة معركة خاوية ، وتكشف الأرض المخدوشة عن بلاط غير متساوٍ تحت تمزقات الجليد، أمام فوهات البالوعات تسرع منحدرات الثلج القذر نحو كمينها، وتضعف رياح باردة عنيفة الغاز على فترات، وفي ذلك الوقت تهتم الأركان المظلمة بموتاها .

ومن وجهة النظر هذه تغيرت الأمور، فلم تعد الفنادق مقصورات لمسرح غريب وأصبحت حقًا مساكن مطفأة عمداً ومحصنة على طريق العدو .

وبما أن الثلج نزع عن الساحة سمتها كميدان خالٍ مفتوح للحواة والبهلوانات والمضللين والباعة، فإنه يضفي عليها معنى خاصا، هو دور محدود لساحة القتال .

منذ الساعة الرابعة وعشر دقائق بدأت المشكلة، لدرجة أنه أصبح من المخاطرة أن نتجاوز الرواق. تحت هذا الرواق احتشد الجنود الاحتياطيون الذين كثر عددهم بمقاتلين جدد وصلوا فرادا أو مثنى .

- هل رأيت دارجولو ؟

- نعم ... لا، لا أعرف .

كانت هذه إجابة تلميذ يساعده تلميذ آخر لمساندة أحد أوائل الجرحى، ويجذبه من الساحة حتى تحت الرواق. كان الجريح يقفز بقدم واحد، منديل حول ركبته ، متعلقا بأكتاف زميليه .

كان وجه السائل شاحبا وعيناه حزينتان كأنهما عينان

عليلتان، كان يعرج وحرملته [٤] التى تنزل تحت منتصف ساقه تبدو كأنها تخفى سنما أو تشويها غير عادى، فجأة طرح للخلف ذيل حرملته واقترب من ركن تتكدس فيه حقائب التلاميذ، ونرى مشيته وردفه المريض الذى يظهر طريقة حمله لحقيبته الجلدية الثقيلة، ترك الحقيبة ولم يعد عاجزاً، ولكن عيناه ظلتا كذلك .

اتجه نحو المعركة .

على اليمين وعلى الرصيف الذى يلامس الرواق ذو السقف المعقود يستجوبون أحد الأسرى. يضىء مصباح الغاز المشهد على فترات متقطعة، يمسك الأسير (وهو صبى صغير) أربعة تلاميذ، وقد أسند نصف جسمه الأعلى على الحائط، وبين ساقيه جلس القرفصاء صبى كبير يشد أذنيه ويجبره على مشاهدة حركات وجهه الشنيع، سكون هذا الوجه الممسوخ الذى يتغير شكله كان يفزع الضحية. كان يبكى ويحاول أن يغمض عينيه ويخفى رأسه، وفى كل محاولة يقبض صانع الحركات بعض الثلج الرمادى ويفرك له أذنيه .

حدق التلميذ الشاحب فى الجماعة المحيطة به وفتح لنفسه طريقًا وسط القذائف، كان يبحث عن دارجولو، إنه يحبه، أضر به هذا الحب نظراً لأنه سبق وقت معرفته لهذا الحب. إنه داء غامض، شديد، ليس له أى علاج، رغبة عفيفة دون جنس أو غاية .

كان دارجولو هو ديك المدرسة، يرضى عن من يتحمسون له

أو يساندونه، ولذا فى كل مرة يواجه التلميذ الشاحب صديقه ذو الشعر المفتول والركبتين الجريحتين والسترة ذات الجيوب السرية، يفقد صوابه.

منحته المعركة الشجاعة، جرى ولحق بدار جولو، قاتل من أجله. ودافع عنه، وأثبت له أنه جذير بذلك .

كان الثلج يتطاير ويتحطم على الحرامل ويزين الجدران بأشكال على هيئة نجوم، ومن مكان لآخر، وبين الظلام نرى تفاصيل وجه أحمر، فمه مفتوح، ويده تشير للهدف .

تشير يد للتلميذ الشاحب الذى يترنح وهو مازال ينادى، تعرف على أحد مساعدى معبوده واقفًا على سلم مدخل منزل، وبخه هذا المساعد. فتح فمه «دارجو...» وعلى الفور أصابت فمه كرة من الثلج، دخلت فيه، شلت أسنانه. كان لديه بالضبط الوقت ليدرك ضحكة، ومع الضحكة لاحظ دارجولو واقفا بين رؤساء أركان الحرب، وجنتاه ملتهبتان وشعره أشعث فى حركة دائبة .

تلقى ضربة فى صميم صدره، ضربة يرثى لها، قاسية كأنها لطمة يد تمثال، فقد صوابه، وتخيل دارجولو على ما يشبه منصة، وقد أنزل ذراعه منذهلاً، فى ضوء غير طبيعى .

تمدد على الأرض. سال الدم بغزارة من فمه، لطخ ذقنه ورقبته وتشربه الثلج. دوت الصفافير، وفى دقيقة واحدة خلت الساحة. أسرع بعض الفضوليين حول الجسد دون أن يقدموا أى مساعدة، ينظرون بتلهف إلى الفم الأحمر. ابتعد بعضهم

خائفين وهم يفرقعون أصابعهم ويمطون شفاهم السفلى، ويرفعون حواجبهم ويهزون رؤوسهم، ويلحق آخرون حقائبهم من الانزلاق. ظلت مجموعة دارجولو على درجات سلم المدخل ساكنة. أخيراً ظهر مراقب المدرسة والبواب، وأخبرهما تلميذ كان الضحية يناديه باسم جيرار وهو يدخل المعركة. سبقهم، رفع الرجلان المريض، واستدار المراقب جهة الظلام :

ـ أهو أنت، يا دار جولو ؟

ـ نعم، يا سيدى .

ـ اتبعنى .

وبدأت الجماعة سيرها .

مزايا الجمال غير محدودة، فهو يؤثر حتى على هؤلاء الذين لا يدركونه. كان المدرسون يحبون دارجولو، والمراقب يتضايق للغاية من هذه القضية غير المفهومة .

نقلوا التلميذ إلى مسكن البواب، حيث توجد زوجته، وهى سيدة طيبة، غسلته وحاولت أن تجعله يثوب إلى رشده .

كان دارجولو يقف بالباب، وخلف الباب تتزاحم رؤوس فضولية. كان جيرار يبكى ويمسك يد صديقه .

قال المراقب :

ـ احك، يا دارجولو .

ـ ليس هناك ما يحكى يا سيدى . كنا نلقى بكرات الثلج، فقذفته بإحداها ربما كانت صلبة، تلقاها بصدره، صاح «آه !» .

وهكذا سقط، اعتقدت أولاً أن الدم يسيل من أنفه بسبب

كرة أخرى من الثلج .
ـ إن كرة الثلج لا تحطم الصدر .
حينئذ قال الطفل الذى يدعى جيرار :
ـ يا سيدى، لقد أحاط قطعة من الحجر بالثلج .
سأل المراقب :
ـ هل هذا صحيح ؟
رفع دارجولو كتفيه .
ـ ألا تجيب !
ـ لا فائدة، انتبه أنه يفتح عينيه، اسأله ..
استعاد المريض وعيه، وأسند رأسه على ساعد زميله .
ـ بماذا تحس ؟
– اعذرنى ..
ـ لا تعتذر، إنك مريض، لقد أغمى عليك .
ـ أتذكرّ ...
ـ هل تستطيع أن تقول لى الآن لماذا أغمى عليك ؟
ـ لقد تلقيت كرة من الثلج فى صدرى .
ـ الإنسان لا يحس بالألم عندما يتلقى كرة من الثلج .
ـ لم أتلق أى شىء آخر .
زميلك يدعى أن هذه الكرة من الثلج كانت تخفى حجراً .
رأى المريض دارجولو يرفع كتفيه، قال :
ـ جيرار مجنون . أنت مجنون . هذه الكرة كانت من الثلج، كنت أجرى، ربما أصبنى احتقان .

تنهد المراقب .

كان دارجولو فى طريقه للخروج، راجع نفسه، وظنوا أنه يسير نحو المريض. وصل أمام مائدة مستديرة حيث يبيع عمال المدرسة مقابض ريشة الكتابة والحبر والحلوى، تردد وسحب بعض الفكة من جيبه ووضعها على حافة المائدة، وأخذ مقابلها أحد لفافات العرقسوس التى تشبه رباط الحذاء ويمصها طلبة المدارس. اجتاز بعد ذلك مسكن البواب، رفع يده إلى صدغه على طريقة التحية العسكرية، واختفى .

أراد المراقب أن يصحب المريض إلى منزله، وقد كلف من قبل من يبحث عن سيارة تنتظرهم، بينما ادعى جيرار بأن ذلك غير مهم، وأن وجود المراقب سيقلق كثيراً الأسرة، وأنه سيأخذ على عاتقه أن يعيد المريض إلى منزله، وأضاف :

- وفضلا عن ذلك، انظر أن بول يسترد قواه .

لم يتمسك المراقب بأى إجراء آخر لهذه النزهة. الثلج يتساقط. يسكن التلميذ فى شارع مونمارتر .

أشرف على وضع المريض فى السيارة، وعندما رأى أن الشاب جيرار يلف زميله فى الدراسة بوشاحه الصوفى وحرملته تيقن أن مسئوليته آمنة .

الهوامش

(١) دهليز مسقف أمام البيوت .

(٢) مجهول الاسم، مشهور فى فنه .

(٣) التعليم فى فرنسا يبدأ بالصف الثانى عشر وينتهى بالصف الأول وهو الثانوية .

(٤) ملبس يشبه المعطف ولكن بدون أكمام يلبسه طلبة المدارس .

(٢)

تسير السيارة ببطء على الأرض المغطاة بالثلج. ينظر جيرار رأس صديقه المسكين التى تهتز شمالاً ويمينًا فى ركن السيارة. يتأملها خلسة وهى تضئ الركن بلونها الشاحب. أساء التقدير عندما اعتقد أنه يتأمل عينيه المغلقتين، ولكن لم يلاحظ إلا ظل أنفه وشفتيه وكل ما حولهما مازال به آثار الدم وهمس :

«بول ...» كان بول يسمع، ولكن إعياء شديد يمنعه عن الإجابة. سحب يده من بين ثنايا الحرملة ووضعها على يد جيرار.

فى مواجهة خطر من هذا النوع، يتنازع الطفولة طرفان متناقضان. فعندما لا تشك فى العمق الذى تستقر فيه الحياة ووسائلها القوية فإنها تتخيل فى الحال ما هو أسوأ. ولكن هذا الأسوأ قلما يبدو لها واقعًا بسبب الاستحالة حيث تجد نفسها تواجه الموت .

كرر جيرار : « إن بول يموت، بول سيموت » ، إنه لا يصدق ذلك، ويبدو له موت بول نتيجة طبيعية لأوهامه، رحلة على الثلج، وستبقى على الدوام، لأنه إذا كان يحب بول كحب بول

لدارجولو فإن تأثير بول في نظر جيرار هو في ضعفه، وبما أن بول يركز نظره على بريق المسمى دارجولو، فإن جيرار قوى ومنصف، يلاحظه، ويراقبه، يحميه، ويمنعه أن يحترق بسببه، كم كان أحمق للغاية تحت الرواق ! كان بول يبحث عن دار جولو، وأراد جيرار أن يثيره بعدم اكتراثه، ونفس الإحساس الذى كان يدفع بول نحو المعركة هو الذى أثناه عن أن يتبعه. رآه من بعيد يسقط ملوثًا بالدم في إحدى الحالات التى تبعد المارة العابرين، ويخشى، إذا اقترب، أن يمنعه دارجولو وجماعته من الوصول إليه، فأسرع طلبًا للنجدة .

الآن استعاد إيقاعه الطبيعى، يرعى بول، هذه هى مهمته التى يتحملها باقتدار. كل هذا الحلم رفعه إلى دائرة الذهول، وكان لسكون السيارة وفوانيس النور ومأموريته تأثير قوى. ويبدو أن ضعف صديقه أصبح مذهلاً، وازداد لأقصى درجة ووجدت قوته أخيراً مهمة أخرى جديرة بها .

فجأة ظن أنه اتهم دارجولو، وأن الحقد أملى عليه عبارته، وجعله يرتكب إثما. رأى مرة أخرى مسكن البواب والصبى السخيف الذى يرفع كتفيه، وعين بول الزرقاء، عين ملؤها التعب، وجهده الذى يفوق قدرة البشر حتى يقول : «أنت مجنون» وحتى يبرئ المذنب. أبعد هذه الواقعة التى تضايقه، كانت لديه أعذاره، فإن كرة من الثلج بين يدى دارجولو يمكن أن تصبح كتلة أكثر إجرامًا من مدينته ذات الأسلحة التسعة. يجب أن ينسى بول الموضوع، ومهما كلفه الأمر يجب أن يعود إلى

حقيقة الطفولة، حقيقة هامة، بطولية وغامضة تغذيها بعض التفاصيل المتواضعة ويفسد صورتها الجذابة استجواب الشخصيات العظيمة لها.

واصلت السيارة مسيرتها فى الفضاء، تتقابل مع النجوم التى يخترق بريقها الزجاج غير اللامع الذى تضربه الرياح العاصفة القصيرة .

فجأة يسمع نغمتين تستحقان الرثاء، وتصبحان مؤلمتين، إنسانيتين، قاسيتين، اهتزاز الزجاج ومرور عاصف لرجال المطافئ، وعلى جانبى الخطوط المتعرجة المرسومة على الجليد لاحظ جيرار الجزء الأسفل للعمارات التى تتابع ويتطاير منها الصياح، سلالم الإطفاء الحمراء والرجال الذين يرتدون خوذات ذهبية مستقرين كأنهم صور رمزية .

يرقص انعكاس الضوء الأحمر على وجه بول. ظن جيرار أنه يتحرك. بعد الزوبعة الأخيرة عاد شاحبا كما كان، وعندئذ لاحظ جيرار أن اليد التى كان يمسكها ساخنة، وأن هذه الحرارة المطمئنة تسمح له أن يلعب لعبته، وكلمة لعبة هى لفظ غير دقيق، ولكن هكذا كان يشير بول للإحساس غير الواضح الذى يغوص فيه الأطفال، ويعتبر فى ذلك أستاذاً، كان يسيطر على الفضاء والزمن، ويغذى الأحلام ويمزجها بالواقع، ويعرف كيف يعيش عند هبوط الليل، وفى حجرة الدراسة يخلق عالمًا يعجب به دارجولو ويطيع أوامره .

هل يلعب لعبته؟ تساءل جيرار وهو يشد على اليد الساخنة

وينظر متلهفًا الرأس المقلوبة .

بدون بول هذه السيارة يمكن أن تكون سيارة، وهذا الثلج ثلجًا ، وهذه الفوانيس فوانيس، وهذه العودة عودة، كان من الصعب عليه أن يخلق النشوة لنفسه، أن بول يسيطر عليه، وتأثيره غير كل شيء مع مرور الوقت، وبدلاً من أن يتعلم قواعد الصرف والنحو والحساب والجغرافيا والعلوم الطبيعية، تعلم أن ينام يقظًا ، لا يؤذيك، ويعطى للأشياء معانيها الحقيقية. إن تأثير عقاقير الهند على هؤلاء الأطفال العصبيين أقل من تأثير ممحاة أو يد ريشة يمضغونها خفية خلف القمطر .

هل يلعب لعبته ؟

لم ينخدع جيرار، اللعبة التى لعبها بول كانت شيئًا آخر ـ لم تستطع طلبمات الماء التى تمر أن تشغله، حاول أن يستعيد سياق الأحداث، ولكن لم يكن هذا هو الوقت المناسب، لقد وصل. توقفت السيارة أمام باب المنزل .

خرج بول من غيبوبته .

سأله جيرار :

ـ هل تريد أن أساعدك ؟

لا فائدة، يجب أن يسنده حتى يصعد، ليس على جيرار إلا أن ينزل أولاً الحقيبة .

حمل الحقيبة ومسك بول من خصره، وتعلق بول بذراعه الأيسر الذى يطوق رقبته، تسلق الدرجات وتوقف عند الطابق الأول. كان هناك مقعد خشبى قديم بقطيفة خضراء مقطوعة،

وظهر شعر الحشو والسلك اللولبى، وضع عليه جيرار حمله الثمين، اقترب من الباب الأيمن، دق الجرس، سُمعت بعض الخطوات، توقفت، سكون ـ «اليزابيث !» استمر السكون، «اليزابيث» استمر السكون، «اليزابيث !» همس جيرار بقوة :

ـ افتحى ! إنه نحن .

سُمع صوت ضعيف صارم :

ـ لن أفتح، إنكما تثيران إشمئزازى !، إن الصبية تغيظنى، ألستما مجنونين حتى تأتيان فى مثل هذه الساعة .

ألح جيرار :

ـ لزابيث [1]، افتحى، افتحى بسرعة إن بول مريض .

بعد فترة قصيرة انفرج الباب، واستطرد صوتها عبره :

ـ مريض ؟ إنها حيلة حتى أفتح، أصحيح هذا الكذب ؟

ـ بول مريض، أسرعى إنه يرتعش على المقعد الخشبى .

انفتح الباب على مصراعيه، ظهرت فتاة ذات ستة عشر عاماً، تشبه بول، لها نفس العينين الزرقاوين المظللتين برموش سوداء، نفس الوجنتين الشاحبتين، تكبره بعامين، وذلك يظهر بعض ملامحها، وتحت شعرها القصير على هيئة حلقات، ظهر وجه الأخت الذى اكتمل وانتظم وأسرع نحو الجمال دون إبطاء، وجعل وجه شقيقها متراخ قليلاً .

من مدخل الردهة المظلم يظهر بياض بشرة إليزابيث فجأة وبقعة على فوطة المطبخ الطويلة بالنسبة لها .

منعتها الحقيقة التى كانت تعتقد أنها أكذوبة من أن تدهش .

سندت هي وجيرار بول الذى يتعثر وقد ترك رأسه تتدلى على صدره، وعند المدخل أراد جيرار أن يشرح الموضوع .

همست إليزابيث :

ـ أبله، لا يفوتك الخطأ أبدا، ألا تستطيع أن تتكلم دون أن تصيح ! أتريد أن تسمع أمى ؟

اجتازوا حجرة الطعام وهم يدورون حول المائدة، ودخلوا يمينا فى حجرة الأطفال. تحتوى هذه الحجرة على سريرن صغيرين، صوان صغير بأدراج، ومدفأة، وثلاثة مقاعد. بين السريرين باب يفتح على دورة مياه ومطبخ ندخلهما أيضاً من البهو، وللوهلة الأولى تدهشنا هذه الحجرة، فبدون أسرة نظنها كراراً [٢]، بها صناديق، وبياضات، وفوط إسفنجية منتشرة على الأرض، وسجادة صغيرة تظهر حبالها، وفى وسط المدفأة يجلس تمثال نصفى من الجبس أضيفت عليه بالحبر عينان وشارب، وفى كل مكان دبابيس رسم تثبت صفحات من مجلات وصحف وبرامج تعرض نجوم أفلام وملاكمين وقتلة .

فتحت إليزابيث لنفسها طريقا بين الصناديق بضربات قوية من قدمها وهى تسب، وأخيراً مددا المريض على سرير مكدس بالكتب. روى جيرار المعركة .

صاحت إليزابيث :

ـ هذا كثير جدا، يتسلى هؤلاء السادة بكرات الثلج بينما أقوم بالتمريض والعناية بأمى العليلة. صاحت : أمى عليلة !

كانت سعيدة بتلك الكلمات التى تعطيها أهمية : ـ اهتم

بأمى العليلة وأنتم تلعبون بكرات الثلج. أنت الذى سحبت بول إننى على يقين من ذلك، هذا الأحمق .

صمت جيرار. إنه يعرف الأسلوب العاطفى للأخ والأخت ولغتهما كطالبين، وتوترهما الذى لا يفتر أبدا، ومع ذلك ظل خجولاً، وحزن قليلاً .

استطردت :

ـ من سيعتنى ببول، أنت أم أنا؟ ماذا حدث لك حتى تظل هناك كالأبله .

ـ يا صغيرتى ليزابيث .

ـ لست ليزابيث، ولا صغيرتك، وأرجوك أن تلتزم بأدب اللياقة. ومع ذلك..

قطع صوت بعيد هذا التأنيب، قال بول بين شفتيه :

ـ جيرار، يا صديقى، لا تسمع لهذه التافهة البذيئة.. إنها تزعجنا .

قفزت إليزابيث بسبب هذه الإهانة .

ـ تافهة! يا صديقى التافهين، تصرفا ـ اعتن بنفسك وحدك. لقد فاض الكيل. أبله لا يتحمل كرات الثلج، ومن السخف أن أغضب !

قالت دون تمهيد :

ـ انتبه يا جيرار، انظر .

بوثبة مفاجئة أرسلت ساقها اليمنى فى الهواء أعلى من رأسها .

ـ هكذا أتمرن منذ أسبوعين .

وأعادت التمرين .

أشارت إلى الباب .

ـ والآن اخرج ! انطلق !

تردد جيرار على العتبة ، وتمتم .

ـ ربما . . . ينبغى أن نبحث عن طبيب .

أنزلت إليزابيث ساقها .

ـ طبيب ! كنت انتظر نصيحتك ، إنك ذو ذكاء نادر ، لتعلم أن الطبيب يعود أمى فى الساعة السابعة ، وسأعرض عليه بول .

واختتمت :

ـ هيا اخرج !

بينما لم يعرف جيرار ماذا يفعل .

ـ هل أنت طبيب ، بالصدفة ؟ لا ؟ إذن ارحل ! ألن ترحل ؟

ضربت بقدمها وأرسلت عيناها بريقا حادا ، وولى هاربا .

وبينما كان يخرج متقهقرا ، وحجرة الطعام مظلمة ، قلب مقعدا .

رددت الفتاة الصغيرة :

ـ غبى ! غبى ! لا ترفع المقعد ستقلب آخرا ، انطلق بسرعة وإياك أن تصفق الباب .

على درجات السلم تذكر أن السيارة تنتظره ولا يملك نصف فرنك فى جيبه ولم يعد يجرؤ أن يدق الجرس ، إليزابيث لن تفتح أو ستعتقد أنها تفتح للطبيب وتنهال عليه بالسخرية .

كان يسكن في شارع لافيت عند خال له يقوم بتربيته. قرر أن يذهب إلى هناك ويشرح الظروف ويحصل من خاله على ثمن المشوار.

كانت السيارة تسير وهو قابع في الركن الذى كان يستند فيه صديقه منذ قليل، وترك عمدا رأسه تتدلى إلى الخلف مع رجة السيارة في سيرها. لم يحاول أن يلعب اللعبة، كان يتألم، لقد اكتشف بعد مرحلة غامضة الجو المحير لبول وإليزابيث. لقد أيقظته إليزابيث وجعلته يدرك أن ضعف شقيقها يزداد تعقيدا من هذه الهفوات القاسية. بول الذى قهره دارجولو، بول ضحية دارجولو، لم يعد بول الذى كان جيرار عبدا خاضعا له. كان جيرار يتصرف في السيارة كمجنون ساءت حالته لموت شخص، ودون أن يتصور الأمر بهذه الطريقة المشوشة، أدرك أن هدوء هذه اللحظات يعود إلى مزيج من الثلج المتساقط والإغماء، وإلى ضرب من اللبس. وعندما اعتبر أن بول كان شخصا نشيطا خلال هذه الجولة فإنه عزا عودة الدم إليه إلى انعكاس ضوء المضخات السريع.

بالتأكيد كان يعرف إليزابيث، والاحترام الذى تكنه لشقيقها والمحبة التى ينتظرها من ذلك. إن إليزابيث وبول يحبانه كثيرا، ويعرف حبهما العاصف لبعضهما والصواعق التى تتبادلها نظراتهما، وتباين نزواتهما، ولغتهما البذيئة. في هذا السكون بدأ يعيد ترتيب الأمور، ورأسه تهتز وهى مدلاة على صدره، ورقبته باردة، ولكن إذا كانت هذه الحكمة تظهر

من وراء كلام إليزابيث قلبا متلهفا وحنونا ، فإنها تعيده إلى غيبوبة قصيرة ، إلى حقيقة هذه الغيبوبة ، إلى غيبوبة تخص الشخصيات العظيمة وإلى النتائج التى يمكن المخاطرة بها .

فى شارع لافيت طلب من السائق أن ينتظر دقيقة. تذمر السائق. صعد درجات السلم أربعة أربعة ، وجد خاله ، اقتنع الرجل الطيب .

عندما نزل ، كان الشارع خاليا ولا يظهر إلا الثلج ، لأن السائق كان يائسا ، قبل دون شك أن يتحمل توصيل أحد المشاة الذى اعتقد أنه دفع قيمة المشوار المسجل بالعداد. وضع جيرار المبلغ فى جيبه ، وفكر ـ لن أقول شيئا سأشترى أى شىء لاليزابيث ، وسيكون ذلك حجة لأعرف الأخبار .

فى شارع مونمارتر ، وبعد فرار جيرار ، دخلت إليزابيث حجرة أمها ، كانت هذه الحجرة تكون مع حجرة استقبال بسيطة الجانب الأيسر من الشقة. كانت المريضة ناعسة. منذ أربعة شهور ، أصابتها نوبة شلل شديدة ، وتبدو هذه السيدة التى تبلغ من العمر الخامسة والثلاثون طاعنة فى السن ، وتتمنى الموت. فتنها زوجها ، لاطفها ، حطمها ، وتركها. وفى غضون ثلاث سنوات كان يظهر فى فترات قصيرة فى مسكن الزوجية ، يقوم ببعض المشاجرات البشعة ، وأعاده إلى هناك التهاب الكبد ويتطلب ذلك العناية به ، كان يهدد بالانتحار ملوحا بالمسدس. بعد الأزمة يلحق بعشيقته التي كانت تطرده عند اقتراب الألم. جاء ذات مرة ، ضرب الأرض بقدميه ، ورقد ، ولم يستطع أن

يرحل ثانية، مات عند زوجته التى كان يرفض أن يعيش معها .

أصاب هذه السيدة التى انطفأ نورها إحساس بالسخط جعلها تهمل أولادها، وتستعمل مساحيق التجميل، وتغير خادمة كل أسبوع، وترقص، وتبحث عن النقود بكل وسيلة .

أخذت إليزابيث وبول عنها قناعها الشاحب، ومن أبيهما الفوضى والأناقة والأهواء الطائشة .

كانت الأم تفكر، لماذا تعيش؟ لن يترك الطبيب أبدا الأولاد تضيع فهو صديق قديم للعائلة، إنها سيدة عاجزة تضنى صغيرتها وكل المنزل.

ـ أنت نائمة يا أمى ؟

ـ لا، إنى أنعس .

ـ بول أصابه التواء فى قدمه، وضعته فى الفراش، وسأعرضه على الطبيب .

ـ هل يتألم ؟

ـ يتألم عندما يمشى، إنه يقبلك، ويقص الصحف .

تنهدت المقعدة. منذ زمن بعيد تعتمد على ابنتها، كانت تؤثر الألم ولا تهتم أن تعرف أكثر من ذلك .

ـ والخادمة ؟

ـ متعبة أيضا .

عادت إليزابيث، إلى حجرتها، وكان بول متجها نحو الحائط .

انحنت عليه .

ـ أنت نائم ؟

ـ ابعدى عنى .

ـ لطيف جدا أنك رحلت [٣] . (فى لغة الإخوة) رحل ، تعنى حالة استفزاز فى اللعب ، يقال سأرحل ، ارحل ، رحلت ، ومضايقة اللاعب الذى رحل خطأ لا يغتفر) ـ إنك رحلت وسأعمل بجد ، إنك شخص قذر وكريه ، أعطنى قدميك لأنزع حذاءك ، إن قدميك متجمدتان من البرد ، انتظر حتى أصنع لك حساءً .

وضعت الحذاء الموحل بالقرب من التمثال النصفى ، واختفت فى المطبخ ، ونسمعها وهى تشعل موقد الغاز . بعد ذلك عادت وتكفلت بنزع ثياب بول ، كان متذمرا ، ولكنه استسلم . عندما أصبحت مساعدته ضرورية قالت له : «ارفع رأسك ، أو ارفع ساقك» ، و «إذا تظاهرت بالموت فلن أستطيع أن أسحب هذا الكم » .

كانت تفرغ جيوبه على التوالى . ألقت على الأرض منديلا ملطخاً بالحبر ، وذخيرة [٤] وأقراص حلوى سكرية بالعناب ملتصقة بخيوط من الصوف ، ثم فتحت درجا من الدولاب الصغير ووضعت فيه ما تبقى : يد صغيرة من العاج ، بلية من العقيق ، وغطاء قلم حبر .

هذا هو الكنز ، كنز مستحيل أن يوصف ، والأشياء الموضوعة فى الدرج قد تغير مفهومها ، وأصبحت تعنى رموزاً معينة . وهذا لا يعطى للشخص الغريب إلا مظهرا لأشياء مختلفة من المفاتيح

الإنجليزية، وأنابيب الأسبرين، وخواتم من الألمونيوم وقطع من الحديد لتجعيد الشعر .

كان الحساء ساخنا، أبعدت الأغطية متذمرة، وفردت قميصا طويلا وقلبت آخرا عاديا كما نسلخ أرنبا. كان جسم بول يقاوم دائما فزعاته، وتسيل دموعها لهذه الرقة. لفته وغطته، وأنهت عنايتها بكلمة : «نم أيها الأبله!» مصحوبة بحركة وداع. ثم قامت ببعض التمرينات الرياضية وقد ثبتت عينيها وقطبت حاجبيها وتدلى لسانها بين شفتيها .

فاجأتها دقة الجرس الذى كان يسمع بصعوبة، فقد لفوه بقطعة من القماش. كان الطبيب. جذبته إليزابيث من معطفه المبطن بالفرو حتى سرير شقيقها، وأخبرته بالموضوع .

ـ اتركينا يا ليز، وأحضرى لى مقياس الحرارة واذهبى لانتظارى فى قاعة الاستقبال، أريد أن أفحصه وأحب ألا يتحرك أحد أو يلاحظنى.

اجتازت إليزابيث حجرة الطعام، ودخلت قاعة الاستقبال، والثلج مستمر فى غزارته. تقف الصبية خلف مقعد ذى مسندين، تنظر هذه الغرفة الغريبة التى علقها الثلج فى الهواء، ويلقى انعكاس ضوء الرصيف المواجه على السقف عدة نوافذ من الخيال والظل وثقوبا من النور على النقوش العربية، يدور فيها خيال المارة بشكل أصغر من طبيعتها .

ازداد سوء موقع هذه الغرفة المعلقة فى الفضاء بالثلج القليل الموجود، والذى يرسم شبحا ساكنا بين الإفريز والأرض. ومن

حين لآخر تكتسح سيارة كل شيء بشعاعها العريض الداكن .

حاولت إليزابيث أن تلعب اللعبة. كان ذلك مستحيلا. قلبها يدق .

بالنسبة لها ـ كما بالنسبة لجيرار ـ لم تعد تخص حياتها نتيجة معركة كرات الثلج. كان الطبيب يرجع ذلك إلى عالم قاس، يوجد الخوف ويصاب الأشخاص بالحمى ويدركهم الموت. ومرة أخرى تخيلت أمها المشلولة وأخيها الذى يموت. أحضرت إحدى الجارات الحساء واللحم البارد والموز والكعك الخفيف الناشف الذى تأكله إليزابيث فى كل وقت، فالمنزل ليس به خادمة وخاوى من الحب .

كان الأمر يصل بهما إلى أن يتغذيا بأصابع السكر بالشعير التى يلتهمها كل منهما فى سريره، وهما يتبادلان السباب والكتب، لأنهما لا يقرآن دائما إلا نفس الكتب ويتشبعان بها حتى الاشمئزاز. وكان هذا الاشمئزاز يساهم فى تقليد يبدأ بزيارة دقيقة للأسرة التى يجب أن يخرجا منها فتات الخبز والأوراق المطوية، ويستمر الحال فى خلط فظيع، وينتهى باللعبة التى، على ما يبدو، يصل الاشمئزاز فيها إلى أقصى درجة .

ـ ليز !

كانت إليزابيث حينئذ بعيدة عن الحزن، أزعجها نداء الطبيب، فتحت الباب .

قال :

ـ إذن، لا داعى لإزعاجك، الأمر ليس خطيراً، ليس خطيراً، ولكن ذو أهمية. إن صدره ضعيف، يكفيه ضربة إصبع خفيفة. ليس هناك داع لعودته إلى المدرسة. الراحة، الراحة، الراحة. إنى أوافقك عندما تحدثتى عن التواء فى المفصل. وغير مفيد أن تزعجى أمك، أنت فتاة راشدة أعتمد عليك، نادى الخادمة .

ـ لم يعد هناك خادمة .

ـ حسناً، سأرسل من الغد ممرضتين ستعملان بالتناوب وتهتمان بشئون المنزل، وستشتريان ما يلزم، وسوف تلاحظين الجميع .

لم تشكره إليزابيث، فقد تعودت أن تعيش بالمعجزات وتتقبلها دون دهشة، وتنتظرها، وهذا ما يحدث كثيراً .

عاد الطبيب مريضته ورحل .

كان بول نائماً، سمعت إليزابيث أنفاسه وتأملته، دفعتها عاطفة شديدة لتقطب وجهها، وتداعبه، ولكن لا يجب مضايقة المريض النائم. تفحصته واكتشفت بقعاً بنفسجية تحت جفنيه، ولاحظت أن شفته العليا متورمة. وتتقدم على الشفة السفلى، لصقت أذنها على أخيها الساذج، أية ضوضاء تسمع أذنها، سدت إليزابيث أذنها اليسرى، اختلطت أنفاسها بأنفاس بول تضايقت إن اضطراب أنفاسه يزداد، وإذا ازداد أكثر، فهو الموت .

ـ يا عزيزى !

ـ أيقظته :

ـ هيه ! ماذا !

تمطع ورأى وجهها متلهفا، قال :
- ماذا أصابك، هل جننت ؟
- أنا !
- نعم، أنت يا لك من مـزعـجـة ! ألا تريدين أن تتـركى الآخرين ينامون؟
- الآخرون! أستطيع أن أنام أنا أيضا، ولكنى أسهر عليك، إنى أعطيك لتأكل، إنى أسمع أنفاسك .
- أى أنفاس !
- أنفاس حياتك .
– بلهاء !
- كنت أريد أن أخبرك بخبر هام، وبما أنى بلهاء فلن أخبرك .
أغرى الخبر الهام بول، وتحاشى حيلة واضحة، وقال :
- تستطيعين الاحتفاظ بخبرك هذا. لا أبالى، لا بأس .
خلعت إليزابيث ملابسها، ليس هناك أى حرج بين الأخت وشقيقها، فهذه الحجرة مأوى يحميها، ويعيشان فيها، ويغتسلان ويلبسان كعضوين لجسد واحد .
وضعت قطعة من لحم البقر البارد وموزا، ولبنا على مقعد قريب من المريض، نقلت قطعا من الكعك الجاف، وشراب الرمان بالقرب من السرير الخالى ورقدت فيه .
كانت تمضغ وتقرأ فى صمت عندما سألها بول، وقد افترسه حب الاستطلاع، عما قاله الطبيب، كان تشخيص المرض ليس له أهمية بالنسبة له. يريد أن يعرف الخبر الهام، بينما الخبر لا

يمكن أن يأتى إلا منها .

دون أن تترك عيناها الكتاب، ودون أن تنقطع عن المضغ، اندفعت إليزابيث فى صوت مكترث وقد أزعجها السؤال، وخشيت نتائج الرفض .

- قال إنك لن تعود إلى المدرسة .

اغلق بول عينيه واظهر له مزاجه المنحرف القاسى دارجولو، ذلك الذى يعيش باستمرار فى أى مكان وفى مستقبل ليس له فيه أى مكان محدد، واصبح انحراف مزاجه قاسيًا لدرجة أنه صاح :

- ليز !

- هيه !

- ليز ! لا أشعر بتحسن .

- هيا، حسنا .

نهضت وهى تعرج، ساقها مخدرة .

- ماذا تريد ؟

- أريد . . . أريد أن تبقى بالقرب منى، قريبة من سريرى .

سالت دموعه، كان يبكى مثل الأطفال الصغار بشفته السفلى الغليظة ملطخًا بالريالة والمخاط .

جذبت إليزابيث سريرها أمام باب المطبخ، يكاد يلامس سرير شقيقها، يفصل بينهما مقعد. رقدت فى السرير وداعبت يد البائس .

قالت :

ـ رويدك ! ها هو أحد الأغبياء، أخبره بأنه لن يذهب إلى المدرسة فيبكى، ويظن أننا سنعيش مبحوسين فى حجرتنا، سيكون هناك ممرضتان بيضاوان، لقد وعد الطبيب بذلك، ولن أخرج إلا لشراء الحلوى وتأجير الكتب .

كانت الدموع ترسم أثرا مبللا على الوجه الشاحب التعس، وبعض هذه الدموع تتساقط من أطراف رموشه، وتضرب الوسادة .

أمام هذه الكارثة التى تشغل تفكيرها، كانت ليز تعض شفتيها، سألته :

ـ هل أنت جبان ؟

حرك بول رأسه يمينا وشمالا .

ـ أتحب العمل ؟

ـ لا .

ـ إذن ماذا ؟ زفت ! اسمع (تهز ذراعه) أتريد أن تلعب اللعبة؟ تمخط. انظر. سأنومك تنويما مغناطيسياً .

اقتربت وفتحت عينيها الواسعتين .

كان بول يبكى، ينتحب. أحست إليزابيث بتعبه. أرادت أن تلعب اللعبة. أرادت أن تواسيه وتنويمه مغناطيسياً .

كانت تريد أن تفهم، ولكن النعاس اكتسح جهودها بأشعة عريضة سوداء تدور مثل أشعة السيارات على الثلج .

الهوامش

(١) ليزابيث وليس اليزابيث كنوع من الألفة بينهما .

(٢) حجرة توضع بها الأشياء المهملة .

(٣) كما نقول في الرياضة « انسحب » .

(٤) قليل من المواد القابلة للاشتعال .



(٣)

فى اليوم التالى ، انتظمت الخدمات . فى الساعة الخامسة والنصف فتحت الباب لجيرار ممرضة ترتدى ملابس بيضاء ، كان يحمل أزهار البنفسج الصناعية فى ورق مقوى. كانت اليزابيث مفتونة، وقالت دون خبث :

ـ اذهب لترى بول ، أما أنا فسأراقب ضرب الإبرة لأمى .

كان بول حسن الهيئة بعد أن اغتسل وتمشط. سأل عن أخبار كوندورسيه. كانت الأخبار غريبة حقًا .

فى الصباح استدعى دارجولو عند مدير المدرسة الذى أراد أن يستعيد استجواب المراقب .

كان دارجولو ساخطًا ، يجيب بأى شىء، مثل « وهو كذلك ، وهو كذلك ! » بطريقة وقحة ، حتى إن المدير نهض عن مقعده وهدده ضاربا المنضدة بقبضته. عندئذ سحب دارجولو من سترته قرطاساً من الفلفل، وألقى محتواه فى وجهه .

كانت النتيجة مفزعة وفورية على غير العادة ، لدرجة أن دارجولو ، مذعوراً ، قفز واقفًا على مقعد كرد فعل للدفاع دون أن يعرف ضد أى هويس ماء يفتح ، وأى طوفان شرس . من هذا

الموقع المرتفع شاهد رجلاً عجوزاً أعماه الغضب ينزع ياقته ويتدحرج على المنضدة مزمجراً ومظهراً كل دلائل الهذيان، هذا المشهد ودارجولو معلقًا، مذهولاً، كما كان بالأمس عندما قذف كرة الثلج، ثبَت على عتبة الباب قدم المراقب الذى كان يجرى وقد جذبه الصياح .

عقوبة الإعدام ليست موجودة فى المدارس، ولذا طردوا دارجولو ونقلوا المدير للعلاج. عبر دارجولو. الرواق رافعًا رأسه، وفمه منتفخًا بالهواء دون أن يمد يده لأحد .

ولنا أن نتخيل تأثير المريض عندما قص عليه صديقه تلك الفضيحة، وكما أن جيرار لم يهمل الإشارة لأى انتصار، فإنه لم يظهر أى حزن، فهذا أكثر من طاقته وسأله بول :

ـ أتعرف عنوانه ؟

ـ يا صديقى، لا . إن شخصاً مثل هذا لا يعطى أبدًا عنوانه لأحد .

ـ مسكين دارجولو ! هذا ما بقى لنا منه . أحضر الصور .

وجد جيرار صورتين خلف التمثال النصفى، تمثل إحداها الفرقة الدراسية. يقف التلاميذ فى صف حسب الطول، على يسار المدرس يجلس بول وجيرار القرفصاء على الأرض. ويضع دارجولو يده متقاطعة على صدره مثل لاعب كرة القدم، ويظهر بكبرياء ساقيه القويتين، وتلك إحدى صفات تأثيره السائد .

وفى الصورة الأخرى يظهر فى ملابس أتالى [١]، كان التلاميذ يعدون مسرحية أتالى احتفالا بالقديس شارلمانى. كان

دارجـــولو يريـد أن يلعـب الدور الـذى اســـتـــخـــدم كـــعنوان للمسـرحيـة. تحت غطاء رأسه ومـلابسـه المزركشة يبـدو كـأنـه نـمر صـغير ويشبـه أعظـم ممثلات المآسي فى عام ١٨٨٩ .

بينما يسترجع بول وجيرار الذكريات دخلت اليزابيث .

قال بول وهو يهز الصورة الثانية :

- هل نضعه ؟

- تضعون ماذا؟ أين ؟

- فى خزينة الأشياء الثمينة .

- ماذا تضعون فى الخزينة ؟

اتخذت الفتـاة وجهـاً هلعـاً، كانت تحترم الخزينة، وإيداع أى شىء جيد فيها ليس هيناً، كان الأمر يتطلب استشارتها .

استطرد شقيقها :

- نستشيرك، هذه صورة الشخص الذى قذفنى بكرة الثلج .

- أرنى إياها .

تفحصت الصورة طويلاً ولم تجب بشىء .

أضاف بول :

- قـذفنى بكـرة الثلج وقـذف المدير بالفلفل، لقـد طردوه من المدرسة .

كانت اليزابيث تحلل، وتفكر، وتمشي طولا وعرضا وتقرض ظفر إبهـامهـا، أخيراً فـتحت الدرج قليلاً وألقت فيـه الصورة ثم أغلقته وقالت :

- إن رأسـه قذرة يـا جيـراف [٢] (كـان هذا هو اللقب المحبب

لجيرار) لا تزعج بول، إني عائدة عند أمي، ألاحظ الممرضتين، هذا شيء صعب، أنت تعرف ذلك، إنهما تريدان من يبدأ أولاً، لا أستطيع أن أتركهما وحدهما دقيقة واحدة .

غادرت الحجرة وهي شبه جادة وساخرة، ومررت يدها على شعرها بحركة مسرحية، وتظاهرت بأنها تحرك ذيل ثوبها الثقيل .

الهوامش

(١) مسرحية لراسين، وهو اسم ملكة إسرائيلية، فهو يمثل دور الملكة .

(٢) جيراف معناها بالفرنسية (زرافة) ويطلقون ذلك على جيرار لأنه على وزن جيراف .

(٤)

بفضل الطبيب أخذت الحياة إيقاعها الطبيعى، وهذا النوع من الراحة قلما يؤثر على الأطفال، لأن لهم نظامهم الذى لا ينتمى لهذا العالم. دارجولو وحده هو الذى يستطيع أن يجذب بول إلى المدرسة. عندما فصل دارجولو أصبحت مدرسة كوندورسيه سجنًا .

بعد ذلك بدأ تأثير دارجولو يتغير عن طبيعته، ليس لأن قيمته تضاءلت، على العكس، سما، وتحرر، وارتفع إلى سماء الحجرة. عيناه المتعبتان، وخصلة شعره، وفمه الغليظ، ويداه العريضتان، وركبتاه الجريحتان، اتخذت شيئًا فشيئًا أشكالاً نجومية تتحرك وتدور متفرقة فى الفضاء. باختصار لخص دارجولو بصورته فى خزينة الأشياء الثمينة. تشابه الأصل والصورة. أصبح الأصل عديم المنفعة. إن الحالة المعنوية تصور الحيوان فى صورة جميلة، وتثرى جوانب المساحة السحرية، وبول، الذى تخلص من ذلك، كان يتمتع بلذة المرض الذى لا يمثل له إلا عطلة طويلة .

لم تنتصر نصائح الممرضات على فوضى الحجرة، بل ازدادت

وأصبحت في كل مكان، وكان وجود الصناديق، والأوراق التي لا نهاية لها، وهذا الكم الهائل من الملابس والبياضات تمثل مدينة المريض ومجاله، كانت اليزابيث تستمتع بتدمير وجهات النظر الأساسية وتقوض الجبال بحجة الغسيل والكي، وتغذى بكل قوة هذا الجو العاصف الذى لا يمكن أن يعيش بدونه كل منهما .

كان جيرار يأتي كل يوم، تستقبله طلقات المدافع من الكلمات الغليظة. كان يبتسم ويحنى رأسه، فسلوكه الهادئ يحصنه ضد هذه اللقاءات التى لم تعد تؤثر فيه، بل يتلذذ بتلك الدعاية، وأمام هدوئه ينفجر الطفلان ضاحكين، ويتظاهران عندئذ بأنهما يجداه مضحكاً، «بطلاً» ويقهقهان فيما بينهما لأشياء تخصه ويجعلان منها سراً .

كان جيرار يعرف البرنامج، لا يتأثر بشيء، يتجلد، يتفحص الحجرة، يبحث عن أثر أى تغيير جديد، لم يتحدث عنه أحد من قبل « مثلاً قرأ يوما بحروف كبيرة خطت بالصابون على المرآة : الانتحار خطيئة قاتلة.

هذا الشعار الصاخب الذى دام طويلا، كان يلعب على المرآة دور الشارب على وجه التمثال النصفى، ويبدو غير واضح للطفلين، وكأنهما كتباه بالماء. يشهد على حماس فياض لأحداث نادرة لم يشهدها أحد .

عبارة حمقاء حولت المعركة، كان بول يوبخ شقيقته بسببها، وهكذا أهمل كل منهما صيداً سهلا، وانتهزا سرعة الأحداث .

تنهد بول :

ـ آه ! عندما سأحصل على حجرة نوم خاصة بى .....

ـ وأنا حجرتى .

ـ حجرتك ستكون نظيفة !

ـ أكثر نظافة من حجرتك ! اسمع يا جيرار، إنه يريد ثريا .

ـ اسكتى !

ـ يا جيراف، سيكون لديه تمثال لأبى الهول من الجبس أمام المدفأة، ويريد أن يطلى ثريا من طراز لويس الرابع عشر بطلاء خزفى .

قهقهت ضاحكة .

ـ هذا صحيح، سأملك تمثالاً لأبى الهول وثريا، أنت غير جديرة لتفهمى ذلك .

ـ وأنا أرفض الإقامة هنا، سأنزل فى فندق، أن حقيبتى جاهزة. سأذهب إلى الفندق. عليه أن يعتنى بنفسه، أرفض البقاء هنا. حقيبتى معى، أرفض أن أعيش مع شخص سىء الخلق .

ينتهى كل مشهد من هذه المشاهد بأن تخرج اليزابيث لسانها، وترحل، وتخرب، وتضرب بحذائها الأشياء المبعثرة، يبصق بول فى اتجاهها، تصفق الباب وتسمع صفقات الأبواب الأخرى .

كان بول يعانى، أحيانا، من نوبات صغيرة من السير أثناء النوم، وهذه النوبات، القصيرة جدا، كانت تستهوى اليزابيث

ولا تخيفها، كانت هذه النوبات وحدها جديرة بأن تجبر المهووس للخروج من السرير .

عندما ترى اليزابيث ساقا طويلة تظهر وتتحرك بطريقة معينة لا تتنفس وتنتبه لمضمار التمثال الحى الذى يتجول بطريقة ماهرة ويعود للنوم والاستقرار .

موت أمهما المفاجئ كان وقفة للعاصفة، فقد كانا يحبانها، إذا كانا قد أساءا إليها فظنا منهما أنها خالدة لا تموت وأصبح الأمر خطيراً لاعتقادهما بأنهما مسؤولان، فقد ماتت دون أن يلاحظا ذلك ذات مساء عندما ثار بول لأول مرة، وتشاجر مع شقيقته فى حجرتها .

كانت الممرضة فى المطبخ، تحولت المشاجرة إلى معركة، وتبحث الصغيرة عن مأوى بالقرب من مقعد المريضة، وجنتاها ملتهبتان، عندما وجدت نفسها وبطريقة محزنة أمام سيدة كبيرة غريبة تتأملها، عيناها مفتوحتان وفمها فاغر .

احتفظ ذراعا الجثة المتصلبان، وأصابعها المعقودة على المقعد بإحدى الهيئات الكاملة التى يسببها الموت ولا يرتبط إلا به. كان الطبيب يتوقع هذه الهزة. شاهد الطفلان، شاحبين، هذه الصيحة المذهلة وحدهما، عاجزين عن التصرف، وتحول هذا الشخص الحى إلى تمثال، إلى فولتير [١] غاضب لا يعرفانه .

حق عليهما أن يحتفظا بتأثير هذا المشهد لمدة طويلة بعد طقوس الحداد والدموع والارتباك، ومعاودة مرض بول وعبارات الطبيب الحنونة وخال جيرار، وتقديمهما ما يلزم لتدبير المنزل

عن طريقة الممرضة، أصبح الطفلان وحدهما وجها لوجه .

خدمت ظروف موت أمهما الغريبة ذكراها، فلم تجعلها مؤلمة. الفجيعة التى أصابتها تركت لها صورة كئيبة دون أدنى علاقة للأم التى يأسفان عليها. وزيادة على ذلك فإن بكاء أناس غاية فى الإخلاص أو القسوة على شخص غاب عادة ما يؤدى إلى فقد مكانته بسرعة. انهما يجهلان السلوك الصحيح، تدفعهما الفطرة الحيوانية، وذلك يثبت قلة الحياء البنوى عند الحيوانات، ولكن هذه الحجرة تتطلب شيئًا غريبًا، وغرابة هذا الموت يحمى الفقيدة كتابوت من الحجر الصلد ويعطيها فجأة مكانة عظيمة فى سماء الأحلام، كما تحتفظ الطفولة بذكرى حدث هام نتيجة لتفاصيل سخيفة .

الهوامش

١- الفيلسوف الفرنسي فولتير كان دائما ثائراً ضد السلطة .

(٥)

معاودة مرض بول كانت طويلة وخطيرة، وتفانت الممرضة ماربيت في عملها. غضب الطبيب فهو يريد الهدوء والاسترخاء. وزيادة حصة الوجبة الغذائية، كان يمر ليعطي أوامره ويحدد ساعات النوم الضرورية، ويعود مرة أخرى ليتأكد أن أوامره قد نفذت .

وافقت اليزابيث أخيراً، التي كانت في البداية عنيفة ومستبدة، أن تقتنع بوجه ماربيت الوردى المنتفخ، وخصلات شعرها الرمادية وإخلاصها في كل محنة. كانت هذه الممرضة مغرمة بحفيد لها يسكن إقليم بريتانى [١] وهذه الجدة البريتانية غير المثقفة تفهم أسرار الطفولة الغامضة .

ويمكن لقضاة منصفين أن يدركوا أن اليزابيث وبول معقدين، ولكنهم دافعوا عن ميراث لهم من عمة مخبولة ووالد سكير، معقدان، هما كذلك بلا شك مثل حلية النقوش الهندسية ومثل بعض القضاة، كانت ماربيت البسيطة كل البساطة، تخمن ما خفي، وتتحرك على راحتها في هذا المناخ الطفولي. لا تبحث عن شيء آخر وتشعر أن جو الحجرة أكثر

خفة من الهواء. في هذه الحجرة لا تقاوم الرذيلة أكثر من مقاومة بعض المكروبات على مستوى مرتفع، هواء نقى، خفيف الحركة، لا يتخلله أى شيء كئيب أو حقير أو دنئ. كانت مارييت تتقبل، وتحمى كل شيء مثلما تتقبل النبوغ وتحمى عملها، وهكذا بساطتها تجعلها تدرك النبوغ الشامل الجديد باحترام عبقرية الحجرة، لأن ما يبدعه هؤلاء الأطفال هو أحد الأعمال الرائعة، وهم أنفسهم عمل رائع، ليس للذكاء فيه أى دخل، ويستمد دهشته من عدم غرورهم وغاياتهم .

هل هناك حاجة لنقول إن المريض كان يستفيد من تعبه ويناور بالحمى التى عنده؟ كان صامتا ولم يعارض الإهانة .

أبدت اليزابيث استياءها والتزمت صمتا ملؤه الاحتقار، وعندما ضايقها هذا الصمت تحولت من امرأة شرسة إلى حاضنه، تبذل جهدها وتتخذ صوتا عذبا، تمشى على أطراف أصابعها، تتعامل مع الأبواب بكل حذر، وتعامل بول كشخص محدود الذكاء، كأحد الأعمال التى فرضت عليها، ضعيف مسكين ينبغى أن ترثى له .

فكرت أن تصبح ممرضة فى المستشفيات، ستعلمها مارييت، كانت تنفرد بنفسها عدة ساعات فى حجرة الاستقبال الجانبية مع التمثال النصفى ذى الشارب، والقمصان المزقة، والقطن المندوف الذى يتشرب السوائل بسهولة، وشاش الجراحة، والدبابيس الإنجليزية. ونجد هذا التمثال النصفى من الجبس ذو العينين الزائغتين فى كل مكان ورأسه ملفوفة بالضمادات. وتموت مارييت

خوفا كلما دخلت حجرة أطفئت أنوارها ولمحته فى الظلام .

هنأ الطبيب اليزابيث، ولم يعد يأتى بعد هذا التحول .

استمر الحال كذلك، وكانت تكابر وعادت إلى شخصيتها، لأن بطلينا لا يهتمان أبدا بالمظهر الخارجى، وفضلا عن ذلك لا يظهران هذا الاهتمام، ولا يكترثان بإظهاره. هذه الحجرة الجذابة المرعبة أثثاها بالخيال، ويؤمنان بكراهيتها، قررا أن يكون لكل منهما حجرةٍ خاصة، وكان لا يفكران فى استخدام هذه الحجرة الخالية. حقًا إن اليزابيث فكرت فيها فى وقتٍ ما، ولكن ذكرى المتوفية المتزايد هناك مازال يخفيها كثيرا فى كل مكان، تعللت بملاحظة المريض وظلت معه .

تضاعف مرض بول، كان يشتكى من تشنجات، جلس ساكنا بين الوسائد الموضوعة بمهارة، كأنه فى مرصد ديدبان، لا تصغى إليه اليزابيث، وتضع سبابتها على شفتيها، وتبتعد كرجل يعود ليلاً ويعبر المدخل بجوربه وحذاؤه فى يده. هز بول كتفيه وعاد إلى اللعبة .

فى أبريل نهض، لا يستطيع أن يقف، تحمله بصعوبة ساقاه اللتان يحس بهما لأول مرة، واليزابيث التى يضايقها بشدة أنه يتجاوزها بنصف رأس كاملة تعوض ذلك بسلوك قديسة، فكانت تسانده وتجلسه وتضع له شاله، وتعامله كعجوز فقد قوته وتفكيره .

يبدو أن بول يتبعها بالغريزة، فى البداية حيره سلوك شقيقته الجديد، والآن يتمنى أن يضربها، ولكن طرق النزاع التى يمارسها منذ ميلاده جعلته يدرك السلوك المناسب، ومع

ذلك كان هذا السلوك السلبى يداعب تكاسله. تغلى اليزابيث خفية من الغضب. فى هذه المرة أيضا ابتدعا نوعا من الصراع، صراع سامٍ مع وجود توازن .

لم يستطع جيرار أن يستغنى عن إليزابيث التى أخذت فى قلبه بطريقة غير محسوسة مكانة بول، وللإنصاف ما كان يحبه لدرجة العبادة فى بول هو منزل شارع مونمارتر، هو بول وإليزابيث. حول واقع الأحداث الأضواء من بول إلى إليزابيث التى لم تعد طفلة وأصبحت فتاة، وانطلقت من السن الذى يسخر فيه الصبية من البنات إلى السن الذى يثير فيه الفتيات الصبية .

حُرم جيرار من الزيارات، حسب تعليمات الطبيب، فأراد أن يستعيد ما فقده، فأقنع خاله أن يصحب ليز والمريض إلى شاطئ البحر. كان خاله أعزبا، ثريا، أرهقته مجالس الإدارة، تبنى جيرار، ابن شقيقته، الأرملة، التى توقفت وقت ميلاده، ربى الرجل الطيب جيرار وأوصى له بثروته، وافق على الرحلة حتى يستريح قليلا .

كان جيرار ينتظر بعض الإهانات، ولكن كانت دهشته بالغة، فقد قابل قديسة وأبلها، عبرا له عن امتنانهما، وتساءل لو أن كلاهما لا يفكر فى دعابة ساخرة، أو يعدان هجوما عليه، بينما أنذره بريق سريع بين رموش القديسة، ورعشة فى عضلة فتحتى أنف الأبله بأنهما بصدد لعبة. هذا السلوك الواضح تماما لم يلفت انتباهه، وجد نفسه وسط موضوع جديد. إن مرحلة جديدة تمر بهم، وعليه أن يتعود على إيقاعها. هنأ نفسه لهذا

الموقف الجامل الذى ينبئ بإقامة لن يندم الخال عليها كثيراً .

حقًا ، بدلاً من أن يخشى الخال هؤلاء الشياطين فقد أعجب بطبيعتهم الرزينة ، وكانت إليزابيث مصدراً للبهجة .

تصنعت إليزابيث اللطف وقالت :

ـ إنكم تعرفون أن أخى خجول بعض الشيء .

تمتم بول بين أسنانه :

ـ رفقا بى !

لكن ما عدا هذا التضرع الذى سمعه جيرار بأذنه المصغية ، احتفظ الأخ الشاب بفمه مغلقًا .

فى القطار كان يلزمهم قوة غير مألوفة حتى يسيطروا على الإثارة . هؤلاء الأطفال الذين لا يعرفون شيئًا فى العالم ، وتمثل عربات القطار فى عيونهم الرفاهية ، سيطروا على أنفسهم حتى يظهروا بأنهم متعودون على كل شىء ، ويساعدهم على ذلك رقتهم الطبيعية وحركاتهم وروحهم .

طوعًا أو كرهاً ، ذكرتهما أسرة القطار بحجرة النوم ، وعرفا على الفور أنهما يفكران فى نفس الشىء ، « فى الفندق سيكون لدينا حجرتان وسريران » .

كان بول لا يتحرك . تستعرض إليزابيث بين رموشها صورة وجهه الجانبى الذى يميل إلى الزرقة تحت ضوء المصباح الضعيف . من نظرة لأخرى تبينت هذه المتأملة المتعمقة أن بول منذ سياسة الوحدة التى كانت تعزله ، يميل لنوع من البلادة ، ولم يعترض هذه البلادة بأقل مقاومة . كان يثيرها شكل ذقنه

المسحوبة، ذات الزوايا الحادة بالنسبة لها. وغالبًا ما تردد عليه «بول، ذقنك!» مثل الأمهات «اعتدل» أو «ضع يدك على المائدة، وكان يجيبها بشيء من الغلظة، وذلك لم يمنعه أن ينشغل بصورة وجهه الجانبى أمام المرآة .

السنة الماضية، تخيلت أن تنام وتضع مشبك ملابس على أنفها حتى تحصل على شكل وجه إغريقى، وكان رباط مطاط يقطع رقبة بول المسكين ويطبع عليها علامة حمراء. بعد ذلك قرر أن يبدو بوجهه كاملاً أو ثلاثة أرباعه .

كان كلاهما لا يهتم بأن يعجب به أحد، ولا تعنى أحد هذه المحاولات الخاصة .

عندما تخلص بول من سيطرة دارجولو، وعاد لنفسه منذ صمت إليزابيث، امتنع عن الضوضاء الصاخبة التى تزكى الفوضى، واستسلم لميولها. لانت طبيعته الضعيفة. لقد خمنت إليزابيث بدقة كل هذا، واهتمامها الخفى يرصد أقل الإشارات، إنها تكره الشراهة التى تتلذذ بالمسرات التافهة، والصوت الصاخب، ولحس الشفاه باللسان وهذه الطبيعة النارية والباردة فى نفس الوقت لا يمكن أن تتقبل الطبيعة الفاترة. وكما فى رسالة إلى ملاك لادويسية [٢] : إنها تلفظ ذلك من فمها، إنها أصلا حمقاء، حقا حمقاء، فهى تحسد بول. وهذه البنت الصغيرة التى تسافر فى القطار السريع لأول مرة، بدلا من أن تصغى إلى صوت الآلات الرتيب، تحملق فى وجه شقيقها، رفع الصياح الأحمق شعرها، شعرها المثير الذى يتطاير أثناء نعاس المسافرين .

الهوامش

(١) إقليم بريتانيا، يقع غرب فرنسا .

(٢) لادويسيه : مدينة في آسيا الصغرى في العصور القديمة، وهي حاليًا مدينة اللاذقية على الساحل السورى .



(٦)

عند وصول الأطفال، كان ينتظرهم خيبة أمل. عالم غفير اجتاح الفنادق. وخلاف غرفة الخال لم يعد هناك إلا غرفة واحدة فى الطرف الآخر من الممشى اقترحوا أن ينام فيها بول وجيرار ويقام سرير لاليزابيث فى الحمام الملحق، وانتهى الأمر بان تنام اليزابيث وبول فى الغرفة وجيرار فى الحمام .

منذ المساء الأول أصبح الموقف لا يحتمل، أرادت اليزابيث ان تستحم، وبول كذلك، أدى غضبهما المكتوم وخداعهما، وأبوابهما المصفقة التى تفتح فجأة مرة أخرى إلى الاستحمام وجها لوجه. هذا الحمام الساخن، حيث يطفو بول مثل نبات الماء، وهو يضحك دون سبب وسط البخار، يغيظ اليزابيث ويفتح أسلوب ضرب الأقدام، فى اليوم التالى استمر ضرب الأقدام على المائدة. فوق المائدة لا يرى الخال إلا الابتسامات، ومن تحتها تدور حرب مستترة.

لم ت كن حرب الأقدام والمرافق هى السبب الوحيد للتحول المتزايد، إن جاذبية الأطفال مثيرة، وأصبحت مائدة الخال مركزا لحب الاستطلاع الذى يتضح عن طريق الابتسامات، كانت

اليزابيث تكره الارتباط بأحد، وتحتقر الآخرين، أو تفتن حتى الجنون بشخص من بعيد. حتى الآن كان افتتانها ينصب على الممثلين الذين يقومون بالأدوار الغرامية، وسيدات هوليوود الفاتنات اللآتى تغطى صور رؤوسهن الضخمة الملونة جدران الغرفة. لا يقدم الفندق أى شيء مثير، هناك عائلات كئيبة، بشعة، شرهة، وفتيات صغيرات نحيلات يلتزمن النظام بضربة يد من ذويهن، يلوين أعناقهن نحو المائدة الغريبة، ويسمح لهن البعد أن يتابعن حرب السيقان وهدوء الوجوه، كما لو كان ذلك على مسرح قائم .

لم يكن الجمال بالنسبة لاليزابيث إلا مظهراً معبراً لقسمات وجهها ودقة أنفها والعطور والملابس غير المعقولة التى ترتديها ارتجالا فى وحدتها مع بعض أنواع الزينة. هذا النجاح لم يعد يفتنها، بل أصبح لعبة مسلية فى حياتها. كان الطفلان يقولان بأنهما فى أجازة من حجرتها «من سجن» وينسيان حنانها ولا يتحققان من إحساسهما لها، وتقديرهما لها أقل من تقدير ماريت ويتخيلان أنهما هربا عن طريق اللعب من زنزانة، كان يجب أن يعيشا فيها مفيدين بنفس السلسة .

بدأت اللعبة الصيفية فى حجرة الطعام وعكفت عليها اليزابيث وبول رغم فزع جيرار، وتحت عينى الخال الذى لم ير أبداً إلا وجهيهما المتظاهرين بالتقوى .

كانت هذه اللعبة هى إفزاع الفتيات الصغيرات النحيفات بتغيير مفاجئ لقسمات الوجه المقززة، ولذلك كان يجب انتظار

مصادفة استثنائية. بعد طول ترقب، وأثناء لحظة غير متوقعة من الجميع وجهت إحدى الفتيات الصغيرات نظرها نحو المائدة، وهى جالسة على مقعدها مشتتة التفكير، رسمت اليزابيث وبول ابتسامة انتهت بتكشيرة وجه مخيفة، أدارت البنت الصغيرة رأسها مندهشة، اربكتها تعدد المحاولة، وأثارت دمعها، وشكت لأمها. نظرت الأم إلى المائدة، ابتسمت اليزابيث على الفور وابتسموا لها، ولم تتحرك الضحية المصدومة المهانة.. سجلت ضربة مرفق من جيرار انتصارهما، ولكن هذه الضربة كانت دليل مشاركة فى الذنب وأدت إلى ضحكات جنونية. فى حجرتهما انفجرا ضاحكين وكاد جيرار أن يموت من الضحك معهما .

ذات مساء، كانت هناك طفلة صغيرة لم تؤثر عليها اثنتا عشرة حركة من الوجه واكتفت أن تضع انفها فى طبقها وتخرج لهم لسانها دون أن يراها أحد وهم يغادرون المائدة. راقهم هذا الرد البديهى السريع الذى لطف الجو تماماً، وردوا عليها بحركة مثلها. وكصائدى الحيوانات أو لاعبى الجولف تملكهم الرغبة فى الاستمرار فى مغامراتهم. أعجبوا بالفتاة الصغيرة، وناقشوا اللعبة، وعقدوا قواعدها، وكان للسب النصيب الأوفر فيها .

توسل إليهما جيرار أن يخفضا صوتيهما، وأن يوقفا الصنابير التى تسيل مياهها بلا انقطاع وألا يحاولا وضع رأسيهما كثيراً تحت الماء، أو يتشاجرا أو يلاحق كل منهما

الآخر وهما يحركان المقاعد ويطلبان الغوث. انطلقت ضحكات ممقوتة وجنونية في نفس الوقت، فذلك إحدى عاداتهما في تغيير أفكارهما، ومن المستحيل أن يتوقع أحد اللحظة التي يتفق فيها هذان النقيضان المتشنجان ويصبحان جسداً واحداً. يتمنى جيرار هذه الظاهرة ويخشاها، يتمناها من أجل الجيران وخاله، ويخشاها لأنها تجعل اليزابيث وبول يتحدان ضده.

كبرت اللعبة سريعاً، واتسع نطاقها في البهو، في الشارع، على الشاطىء وفي المسرح. أجبرت اليزابيث جيرار على مساندتهما، هذه الجماعة التي لا تطاق، كانت تفترق، تجرى، تحبو تجلس القرفصاء، تبتسم وتقطب وجهها مشيعة الرعب. تسحب العائلات أطفالهن، ورقابهم ملتوية وشفاهم مدلاة وعيونهم زائغة. يصفقون الأبواب، يضربون أردافهم ويحرمون الناس من متعتهم ويحجزونهم في غرفتهم. ليس لهذه الكارثة نهاية دون اكتشاف تسلية أخرى.

هذه التسلية كانت السرقة. يجارى جيرار كل من اليزابيث وبول دون ان يجرؤ على إظهار مخاوفه، ولم تكن هذه السرقات إلا للتغيير، فلم تكن بغرض المكسب أو رغبة في شيء حرموا منه. يكفي ان يموتوا خوفا. كان الأطفال يخرجون من المحلات التي يرتادونها مع الخال وجيوبهم مملؤة بأشياء ليس لها قيمة ولا تستخدم في أي شيء. تمنع أصول اللعبة الاستيلاء على الأشياء المفيدة. ذات يوم أرادت اليزابيث وبول ان يلزما

جيرار بإعادة كتاب إلى مكانه لأنه كان باللغة الفرنسية، وأعفى جيرار من ذلك بشرط أن يسرق «شيئاً تصعب سرقته» وأصدرت اليزابيث أمرا «مثلا رشاشة مياه» .

لف الطفلان جيرار المسكين بحرملة واسعة، وأنجز مهمته، وهو يحس بالموت في نفسه وكانت حالته يرثى لها، وانتفاخ الرشاشة غريب لدرجة أن تاجر الأدوات المنزلية كان يتابعهم لمدة طويلة بعينيه وأصبح يؤمن بما هو غير مستبعد. همست اليزابث «سر ! سر ! أيها الأحمق انه يرانا. وعلى ناصية الشارع حيث يكمن الخطر تنفسوا وفروا هاربين.

رأى جيرار في المنام ان سرطانا قرصه في كتفه وأن تاجر الأدوات المنزلية استدعى الشرطة وقبض عليه، وحرمه خاله من الميراث .

السرقات : حلقات الستائر، مفكات، قواطع للتيار الكهربائي، بطاقات، وأحذية من القماش مقاس ٤٠، كل هذا تكدس في الفندق كنوع من نفائس المسافرين، لآلئ مزيفة لبعض السيدات اللآتي يتجولن، ويتركن لألئهن الحقيقية في الخزانة الحديدية .

حقيقة سلوك هؤلاء الأطفال غير المهذبين، المتحمسين حتى الجريمة، العاجزين عن التمييز بين الخير والشر، كانت بالنسبة لاليزابيث غريزة تجعلها تعدل الميول المبتذل الذى تخشاه بالنسبة لبول من العاب هذه القرصنة. أما بول فقد أصبح متضايقاً، مضطرباً، متشنجا، متسرعاً، بذيئاً، ولم يعد

يضحك للناس الطيبين. وسنرى إلى اى مدى ستطور اليزابيث سلوكها البديهى لإعادة طريقة تربيتها .

عادوا. وبفضل ملح البحر الذى كانوا يشاهدونه شاردين، استرجعوا قواهم، وازدادت لياقتهم عشر مرات حتى أن ماربيت تعرفت عليهم بصعوبة، وقدموا لها حلية على شكل دبوس غير مسروق .

(٧)

منذ ذلك الوقت أصبحت الحجرة كأنها مركب فى عرض البحر، أشرعتها أكثر اتساعاً، وشحنتها أكثر خطورة، وأمواجها أكثر ارتفاعاً .

فى عالم الأطفال الغريب، تستطيع السباحة على الظهر. وبسرعة. ويصبح البطء فى هذه الحالة خطيراً كبطء وتأثير الأفيون وكذلك الإسراع لضرب رقم قياسى .

كان جيرار يبقى للنوم فى شارع مونمارتر عندما يسافر خاله ليتفقد مصانعه. ينام على أكوام الوسائد ويتغطى بالمعاطف القديمة. وأمامه تطل الأسرة مثل خشبة المسرح، إضاءة هذا المسرح بمثابة تمهيد لمسرحية درامية تبدأ تواً. فى الواقع كان الضوء يوجد فوق سرير بول، وقد خفف من شدته بقطعة قماش حمراء. ملأت قطعة القماش الحجرة بالظلال الحمراء وتمنع اليزابيث أن ترى بوضوح. ثارت، نهضت ونزعت قطعة القماش، أعادها بول مرة أخرى، بعد صراع على جذب الخرقة بينهما انتهى استهلال المسرحية بانتصار بول الذى عامل أخته بوحشية، أعاد تغطية المصباح، لأن بول أصبح يسيطر على

شقيقته منذ كانا على شاطئ البحر. كانت مخاوف ليز حقيقة واقعة، عندما شفى بول تبين لها نضجه لم يعد يقبل دور المريض، فقد تحقق هدف العلاج المعنوى فى فترة وجوده بالفندق. عبثاً ما تقول : «السيد يجد كل شيء فى غاية المتعة، فيلم ممتع، موسيقى ممتعة، مقعد ممتع، شراب الرمان والشعير ممتع. احذر يا جيراف، أنه يثير اشمئزازى ! انظر إليه! انظر، إنه يلحس شفتيه ! أنظر لرأس هذا الكسول !» ولم تدرك أن الرجل يمكن أن يتغير حتى فى سن الرضاعة. وكما فى سباق الجرى يفوز عليها بول بمسافة الرأس. وتعلن الحجرة ذلك. فمن أعلى، كانت الحجرة تخص بول، فلا يقوم بأى مجهود ليدرك بيده أو بعينه الأشياء التى يفكر فيها، من أسفل كانت حجرة اليزابيث، عندما تريد أغراضها، تفتش، وتنحنى فجأة وكأنها تبحث عن مبولة [1] .

ولكنها لم تستمر فى خلق المتاعب واستعادت تفوقها المسلوب. كانت فيما مضى تتصرف بأسلحة صبيانية أما الآن فإنها تلجأ للوسائل ذات الطبيعة النسائية الجديدة تماماً والمعدة للعمل، ولذلك تستقبل جيرار باهتمام، فهى تدرك إنه من المفيد أن يكون هناك جمهور، وأن عذاب بول سيكون أكثر حدة إذا كان هناك مشاهد .

يفتح مسرح الحجرة فى الساعة الحادية عشر مساءاً، ما عدا الأحد، ولا يقدم عروضا نهارية .

فى سن السابعة عشر تبدو اليزابيث أنها كذلك، أما بول

فيبدو في التاسعة عشر بينما هو في الخامسة عشر. كان يخرج، يتسكع، يذهب لرؤية الأفلام الممتعة ويسمع الموسيقى الممتعة، ويلاحق الفتيات الممتعات، وطالما أنهن فتيات فإنهن مغريات ويجدهن ممتعات .

عند عودته، يصف مقابلاته ويضفي عليها نوعاً من الصراحة الفطرية المهووسة، هذه الصراحة، ومع عدم ذكر الرذيلة التي توحي بها، أصبحت حسب قوله نقيضاً للوقاحة وقمة في الطهارة. كانت شقيقته تسأل وتسخر منه وتتقزز. فجأة صدمتها إحدى التفاصيل التي لا يمكن أن تصدم أحداً، التزمت الوقار، تناولت إحدى الصحف واختفت خلف أوراقها المفتوحة تماماً وبدأت قراءتها بدقة .

تعود بول وجيرار أن يتواعدا بين الساعة الحادية عشر ومنتصف الليل أمام محل لشرب الجعة في مونمارتر. كانا عائدين معاً. تترقب اليزابيث صفقة الباب الشديدة وتسير طولاً وعرضاً في المدخل وتكاد تموت من القلق .

أنذرها باب السيارة فغادرت موقعها، جرت إلى الحجرة، جلست وأمسكت مصقلة [٢] .

وجداها جالسة، وشبكة شعرها على رأسها، تخرج لسانها قليلاً، مستغرقة في تهذيب أظافرها .

خلع بول ثيابه، وأخذ جيرار رداء نومه، جلس، وأكل، ودقت عبقرية الحجرة ثلاث دقات .

نؤكد كذلك، على أن أي ممثل في هذا المسرح، وحتى ذلك

الذى يقوم بدور المشاهد لا يدرك أنه يؤدى دوراً فى المسرحية. يعود شباب هذه المسرحية الخالدة إلى عدم هذا الإدراك البديهي. ودون أن يرتابوا فى ذلك كانت المسرحية (أو الحجرة إذا أردنا) تتأرجح على حافة أسطورة.

تضفى قطعة القماش الحمراء على المنظر ظلالا أرجوانية. يذهب بول ويجئ عاريا، يعيد ترتيب فراشه، ويبسط البياضات، ويعد مرقب الديدبان بالوسادة، ويضع دواءه على مقعد. تحدق اليزابيث فى شقيقها، وهى متكئة على مرفقها الأيسر، شفتاها رقيقتان، وقورة كأنها تيودورا[٣]. بيدها اليمنى تحك رأسها حتى جرحت جرحا خفيفاً. بعد ذلك دهنت هذه الجروح بمرهم تجميل سحبته من إناء موضوع على الوسادة.

قال بول :

ـ غبية !

وأضاف :

ـ لا شيء يقزز نفسى إلا منظر هذه الغبية ومرهمها. لقد قرأت فى صحيفة أن الممثلات الأمريكيات يسلخن جلودهن ويستغنين عن المراهم. إنها تعتقد أن ذلك مفيد لجلد الرأس.. يا جيرار !

ـ ماذا !

ـ اتسمعنى !

ـ نعم.

ـ جيرار، إنك طيب أكثر من اللازم، نم، اذن، لا تنصت لهذه

النوعية من الناس .

يعض بول شفتيه، تلمع عيناه. كان هناك فترة سكون. أخيراً وتحت نظرة اليزابيث الندية، الواسعة، السامية، يرقد على حافة السرير ويجرب أوضاع رقبته، ولا يتردد عن رفع البياضات، عندما لا يجد الراحة الكاملة فى فراشه .

عندما يبلغ هذه الراحة لا تستطيع أى قوة ان تزحزحه من مكانه، يقوم بأكثر من ذلك، يتعطر، ويحيط نفسه باللفائف والغذاء والأوانى المقدسة، يرحل عند الأشباح .

تنتظر اليزابيث الاستعداد الذى يقرر دخولها على المسرح ويبدو غير معقول انهم استطاعوا أن يمثلوا هذه المسرحية كل ليلة خلال أربع سنوات دون حل خيوطها. فالمسرحية تبدأ دائماً من جديد ما عدا بعض التنقيح. وتخضع هذه النفوس غير المهذبة لنظام ما، وتؤدى عملاً مثيراً مثل ذلك العمل الذى يقفل أوراق الأزهار ليلا .

كان التنقيح يتم عن طريق اليزابيث، فتعد المفاجآت. مرة، تخلت عن دهان الوجه وانحنت على الأرض وسحبت من تحت السرير سلطانية سلطة من الكريستال، هذه السلطانية تحتوى على سرطانات البحر (٤)، احتضنتها فى صدرها وأحاطتها بذراعيها الجميلتين العاريتين وتنقل نظراتها الشرهة بين سرطانات البحر وشقيقها .

ـ جيرار، سرطان بحر! أجل، أقبل، أقبل، إنه يثير لعاب الفم.

كانت تعلم ميول بول للفلفل، والسكر، وسلطة الخردل[٥]، يأكلها على كسرات الخبز .

نهض جيرار، خشى أن يغضب الفتاة، همس بول :

ـ قذارة! إنها تكره سرطانات البحر، وتكره الفلفل، وتجبر نفسها على ذلك وتثير لعاب فمها عمداً .

امتد مشهد سرطانات البحر لدرجة أن بول لم يعد يهتم بذلك، ثم توسل إليها أن تعطيه واحداً، وحينئذ جعلته تحت رحمتها وعاقبت هذه الشراهة التى تكرهها .

ـ جيرار، أتعرف شيئاً اكثر دناءة من شخص فى سن السادسة عشر ينحنى ليطلب سرطان البحر انه يتذلل، أنت تعلم، ويمشى على أربع. لا! لا تعطيه إياه، فلينهض ويأتى! أخيراً إنه كريه، هذا المخبول الذى يرفض أن يتحرك، وينفجر من النهم ولا يستطيع أن يقوم بأى مجهود. ولأنى أخجل له أرفض أن أعطيه سرطان البحر . .

تتابعت الهواجس ولم تدعها اليزابيث جانباً إلا فى المساء عندما شعرت بأنها فى أحسن حال، استسلمت لله، وجلست على مقعد ذى ثلاث أرجل .

سد بول أذنيه ومسك كتاباً وقرأ بصوت مرتفع. كان لسان سيمون وشارل بودلير [٦] شرف هذه الجلسة. بعد هذه الهواجس، قال :

ـ اسمع يا جيرار .

واستمر فى قراءته بصوت مرتفع .

* أحب ذوقها السيء وثوبها ذا الألوان غير المتجانسة .
* وشالها الكبير المتعثر ، وكلامها الشارد .
* وجبهتها الضيقة [٧] .

انشد هذا المقطع من الشعر البديع غير مدرك أنه يصور الحجرة وجمال اليزابيث .

تناولت اليزابيث صحيفة وبصوت يكاد يعلو صوت بول قرأت الأحداث الجارية ، صاح بول : «كفى ، كفى !» استمرت شقيقته تقرأ بصوت عال .

عندئذ ، انتهز أن المجنونة لا تستطيع أن تراه من خلف الصحيفة ، مد ذراعه ، وقبل أن يستطيع جيرار أن يتدخل ، قذفها باللبن بكل قوة .

ـ الحقير ! الشرس !

اختنقت اليزابيث غيظاً . التصقت الصحيفة على جلدها كخرقة مبللة وتقاطر اللبن فى كل مكان. كان بول يأمل أن تصاب بنوبة شديدة من الدموع ولكنها تمالكت نفسها ، وقالت :

ـ امسك يا جيرار ، ساعدنى ، خذ الفوطة ، جفف ، خذ الصحيفة إلى المطبخ . وهمست ، أما أنا فسأعطيه سرطان البحر . . أتريد واحداً . احذر ، إن اللبن يسيل . الفوطة معك ؟ شكراً .

استرجاع موضوع سرطان البحر انتاب بول عند اقتراب النعاس ، فلم يعد يرغب فيه . ترك هذا الموضوع ، وقلت شهيته التى خففت متاعبه وسلمته مقيد القدمين واليدين لنهر الأموات .

كانت هذه هى اللحظة الهامة التى وضعت فيها اليزابيث

كامل طاقتها الاشمئزازية. لكي تمنعه من النوم، لقد جعلته ينام رافضة أن تعطيه شيئاً، وأخيراً نهضت واقتربت من السرير ووضعت السلطانية على ركبتيه .

ـ هيا، أيها الحيوان القذر أنا لست شريرة، ستنال نصيبك من سرطان البحر .

رفع المسكين رأسا ثقيلة من عز نومه، وعيناه مقفولتان، ومنتفختان وفمه لم يعد يتنفس هواء البشر .

ـ هيا، كل. انك تريده ولا تريده. كل، أو سأرحل .

حينئذ فتح بول شفتيه وكأنه شخص قطعت رأسه ويحاول ان يستعيد صلته بالعالم .

ـ يجب أن تراه حتى تصدق. هيه! بول! هيه! سرطان البحر! كسرت قشرة السرطان ودفعت اللحم بين أسنانه .

ـ انظر يا جيرار [٨] ! إنه يمضع وهو نائم. انظر، هذا شيء غريب جداً. يا لها من شراهة ! كم هو بشع .

تابعت اليزابيث عملها وهي تتظاهر باهتمام خاص، اتسعت فتحتا أنفها وأخرجت لسانها. رزينة، صبورة، وهي مقوسة الظهر تشبه مجنونة ترسم طفلاً ميتاً .

من هذه الجلسة المفيدة، لم يحصل جيرار إلا على شيء واحد، لقد رفعت اليزابيث الكلفة في مخاطبته .

في اليوم التالي، حاول أن يخاطبها بدوره دون تكلف كان يخشى من صفعة يتلقاها، ولكنها تقبلت رفع الكلفة المتبادلة بينهما وأحس جيرار بلطف بالغ .

الهوامش

(١) وعاء لقضاء الحاجة الليلية .

(٢) آلة لتهذيب الأظافر .

(٣) إمبراطورة بيزانطية، ولدت سنة ٧٢ ق.م. وزوجة الإمبراطور جوستيان الأول.

(٤) يشبه الجمبرى .

(٥) مستاردة .

(٦) شعراء فرنسيين .

(٧) ثلاثة أبيات من الشعر لشارل بودلير .

(٨) بدأت تخاطب جيرار، أنت (Tu) وليس سيادتك (Vous) .

(٨)

كانت ليالى الحجرة تمتد حتى الساعة الرابعة صباحاً، وذلك يؤخر وقت الاستيقاظ. حوالى الساعة الحادية عشرة تحضر ماربيت القهوة باللبن يتركانها تبرد، ويعودان للنوم. عند استيقاظهما مرة أخرى تفقد القهوة باللبن البارد جاذبيتها. عند استيقاظها مرة ثالثة لا ينهضان، ويمكن أن تتجمد القهوة باللبن فى الفناجيل، وحينئذ يفضلان إرسال ماربيت إلى مقهى شارل التى فتحت منذ قليل اسفل العمارة، وتصعد بالشطائر والمشروبات الشهية .

تفضل البريتانية (١) بالتأكيد أن يتركونها لتقدم لهما طعامها البسيط اللذيذ، ولكنها تتراجع وتوافق عن طيب خاطر على هوس الصبيان .

احيانا تدفعهما بقوة وتحثهما إلى المائدة، وتقدم لهما الطعام غصباً.

وضعت اليزابيث معطفاً على رداء نومها، جلست حالمة، متكئة على مرفقها، ويدها على خدها. كل أوضاعها هى أوضاع السيدات اللآتى يحتذى بهن واللآتى يقدمن العلم،

والزراعة والتحليل النفسى للأنا، يتأرجح بول على مقعده، وهو يكاد يرتدى ملابسه. يأكل كل منهما فى سكون كمهرجين متنقلين بين عرضين مسرحيين. يثقل عليهما النهار، ويجدانه فارغاً، ويجذبهما تيار نحو الليل، نحو الحجرة حيث يبدآن الحياة مرة أخرى .

تستطيع مارييت أن تقوم بالتنظيف دون الإخلال بهذه الفوضى. من الساعة الرابعة حتى الخامسة تخيط فى الحجرة التى على الناصية وقد حولتها إلى مخزن بياضات. فى المساء تعد وجبة دسمة وتعود لبيتها. كان ذلك هو الوقت الذى يتجول فيه بول فى الشوارع الخاوية باحثا عن فتيات تشبهن فتيات قصائد بودلير[٢] .

تظل اليزابيث وحدها فى المنزل، وتعود لعاداتها المتعالية منزوية بجانب الأثاث، ولا تخرج إلا لشراء مفاجآتها. وتعود بسرعة لتخفيها، تتجول من حجرة لأخرى، متقززة من انحراف مزاجها بسبب الحجرة التى ماتت فيها سيدة، دون أى علاقة بأمها التى تعيش فى داخلها .

ازداد انحراف مزاجها عند الغروب وعندئذ دخلت الحجرة التى يجتاحها الظلام، وقفت معتدلة في وسطها. أصبحت الحجرة معتمة وتغوص فى الظلام. تترك اليتيمة نفسها تتلاشى، عيناها ثابتتان، ويداها متدليتان، واقفة كربان على متن سفينة .

الهوامش

(١) ماربيت من أقليم بريتانى .

(٢) قصائد بودلير التى يتحدث فيها عن النساء .



(٩)

هناك مثل هذه المنازل وهذه الحياة التى تذهل العقلاء الذين لا يدركون ، على ما يبدو ، أن الفوضى التى يجب أن تستمر على الأكثر خمسة عشر يوما يمكن أن تستمر عدة سنوات. توجد هذه المنازل وتلك الحياة المريبة تماماً ، العديدة والفاسدة ، على غير ما نتوقع ، ولكن هنا لا يخطئ العقل فإن قوة الأمور ، إذا كانت شديدة ، تسرع بها نحو الانهيار.

إن الأشخاص غريبو الأطوار وتصرفاتهم غير الاجتماعية تجذب العالم اجمع الذى ينكرها . إننا نقلق للسرعة التى تنتج عن العاصفة ، والتى تتنفس فيها هذه الأرواح المفجعة الطائشة ، وذلك يبدأ بالألعاب الصبيانية ، ولا نرى فيها أولا غير أنها مجرد ألعاب .

هكذا مرت ثلاث سنوات ، وشارع مونمارتر على نفس التواتر الممل الحاد الذى لا يفتر أبداً . استمرت اليزابيث وبول ، اللذان خلقا للطفولة ، فى حياتهما كما لو كانا توأمين فى المهد . كان جيرار يحب اليزابيث ، واليزابيث وبول يحبان بعضهما حتى العبادة وينشقان على بعضهما كل خمسة عشر يوما ،

وبعد مشهد يحدث ليلا، تجهز اليزابيث حقيبتها وتعلن أنها ستعيش فى الفندق .

نفس الليالى العنيفة، ونفس فى فترات الصباح المملة، ونفس فترات بعد الظهر الطويلة التى يصبح خلالها الطفلان محطمين، يلزمان الحجرة وينامان فى وضح النهار كالخلد [١] .

يحدث أن تخرج اليزابيث وجيرار معا ويذهب بول لملذاته، ولكن ما يرونه ويسمعونه لا ينتمى لهم شخصيا، إنهم عبيد لقانون صلب، ينقلون ذلك إلى الحجرة حيث يتصرفون كما يحلو لهما .

لا يدرك هذان اليتيمان أن الحياة كفاح، وأنهما يعيشان فى حالة هروب، وأن القدر يتسامح معهما ويتغاضى عنهما، ويجدان أنه شيء طبيعيى أن طبيبهما وخال جيرار يسهلان لهما الحياة .

إن الثراء استعداد شخصى، وكذلك الفقر، فالفقير الذى يصبح ثريا يجلب الفقر المدقع، لقد كانا ثريين بما فيه الكفاية، لدرجة أن أى ثراء لا يمكن أن يغير حياتهما، تأتيهما الثروة وهما نائمين، لا يحسان بها عند الاستيقاظ .

لا يؤمنان بالادعاء بأن الحياة ليست سهلة، وأن الأخلاق ليست دمثة، ودون إدراك، يمارسان عمليا « هذه القدرات الرائعة للحياة السلسة التى تفسد العمل بطريقة ما »، والتى يتحدث عنها أحد الفلاسفة .

لا يشغل بالهما مشروعات المستقبل أو الدراسة أو الوظيفة

أو السعى، أكثر مما يحاوله كلب مرفه لحراسة الخراف، فى الصحف يقرآن الجرائم، كانا من هؤلاء الذين يزيفون المثل، والذين تشكلهم مدينة سيئة مثل نيويورك ويفضلون الحياة فى باريس .

لذلك لم يحسم أى اعتبار عملى الموقف المفاجئ الذى أدركه كلا من جيرار وبول عن اليزابيث .

قررت أن تعمل، لديها الكثير عن حياة مربية الأطفال، فليعمل بول ما يحلو له. لقد بلغت من العمر تسعة عشر عاما، وتذبل شيئًا فشيئًا ولن تستمر أكثر من ذلك يومًا واحدًا .

كانت تردد .

-إنك تدرك يا جيرار أن بول غير ملتزم، وفضلاً عن ذلك، غير جدير بأى شيء، ليس له وجود، أنه حمار، ابله، ويجب أن اتصرف وحدى. ومع ذلك ماذا يمكن أن يصبح إذا كنت لا أعمل؟ سأعمل، وسأجد وظيفة، ينبغى ذلك .

فهم جيرار، أدرك الآن تماما. هناك سبب غير معروف يسيطر على الحجرة. يسمع بول المحنط الذى يستعد للانسحاب، هذه الإهاناتة الجديدة، المعلنة بطريقة خطيرة .

استطردت :

-صبى مسكين يجب مساعدته، مازال مريضًا، أنت تعرف أن الطبيب.. (لا، لا يا جيراف، أنه نائم)، أقلقنى الطبيب كثيراً، تصور أن كرة الثلج تكفى لإسقاطه، وتجعله يترك درساته. هذا ليس خطأه، ولا أوجه له أى لوم، ولكنه عاجز

وأتحمل مسئوليته !

ـ الكريهة، أوه ! الكريهة .

فكر بول وهو يتظاهر بالنوم ويظهر انفعاله من تشنجاته .

كانت اليزابيث تراقبه، سكتت، وكخبيرة فى التعذيب، بدأت تطلب النصيحة وتشفق عليه .

كان جيرار يقارن بينها وبين بول من حيث وجهه الجميل، وقامته، وقوته، كانت تجيب بضعفها، وتلهفها وتخاذلها .

عندما أصبح غير قادر على السيطرة على نفسه، بدأ يتحرك وتظاهر بأنه يستيقظ. تساءلت بصوت رقيق إذا كان يرغب أى شىء، وغيرت حديثها .

كان بول يبلغ من العمر سبعة عشر عاما، ومنذ السادسة عشر يبدو كأنه فى العشرين. لم يعد يكفيه سرطان البحر والسكر. رفعت شقيقته نبرة صوتها .

ادعاء النعاس وضع بول فى موقف غير لائق، لدرجة أنه فضل الشجار. انفجر. وفى الحال اشتدت شكوى إليزابيث حتى السب، فقد كان خموله غير معقول ودنئ، يزعج شقيقته التى كانت تراعيه .

مقابل ذلك، أصبحت إليزابيث متبجحة، غريبة، حمقاء، غير جديرة بالعطاء أو عمل أى شىء مهما كان .

اضطرت إليزابيث، كإجراء انتقامى سريع، أن تنتقل من الأقوال للأفعال. توسلت لجيرار أن يتوسط لها لدى دار كبيرة للخياطة يعرف مديرتها، ستكون بائعة، ستعمل .

اصطحبها جيرار لمقابلة الخياطة التى ذهلت لمثل هذا الجمال. للأسف مهنة البائعة تتطلب معرفة اللغات، ولا يمكن أن تقبلها إلا كعارضة أزياء. كان لديها من قبل فتاة يتيمة، آجات، عهدت إليها بالفتاة التى ليس لديها شيء يخشى بالنسبة لبيئتها .

- بائعة ؟ عارضة أزياء ؟ لم تجد إليزابيث أى فرق. على العكس. عندما اقترح عليها أن تكون عارضة أزياء كان ذلك بمثابة عرض للظهور على المسرح، وتمت الصفقة .

كان لهذا التوفيق نتيجة غريبة .

توقعت :

- إن بول سيتضايق .

وهكذا، دون أى محاولة تمثيلية، غضب بول غضبًا شديدا، مدفوعًا بأى أسباب وقائية لا ندرى، معبرا بحركاته، صائحا بأنه لا يتحمل أن يكون شقيق عاهرة، وكان يفضل أن تمارس البغاء فى الطريق العام .

أجابت اليزابيث بحدة :

- سأقابلك هناك لا أهتم بذلك .

ضحك بول متهكما :

- ومع ذلك، أنت لا ترين نفسك، يا ابنتى المسكينة، ستكونين أضحوكة. بعد ساعة سيطردونك بضربة قدم فى مؤخرتك. عارضة أزياء؟ لقد أخطأتى العنوان. كان يجب أن تعملى كخيال ظل لإخافة الطيور .

كانت حجرة عارضات الأزياء كئيبة جافة، توجد فيها كآبة

اليـوم الأول فى الدراسـة، ومـداعبـات الطلبـة. بعد أن اجتـازت إليـزابيـث الكثـير من عدم التوفـيق، أصبـحت موضوع الحديث، تحت الأضـواء. كـانت تعتـقد أنـهـا قبـيحة وتتوقع ما هو أسوأ. جـرح جـمـالهـا الجسـدى الفتى هؤلاء الفـتيـات المصـبـوغـات المجهدات، ولكنهـا أوقفت سخـريتـهن، غـاروا منهـا وأداروا لهـا ظهـورهن. أصـبـحت هذه المقـاطعـة غـيـر مـحتـملة. حـاولت إليزابيث تـقليـد رفـيـقـاتهـا، كـانت تراقب تأثير مشيـتهـا على صاحبة العرض، وكـأنها تطلب منها إيضـاحًا علنيًا، وأحيانا فى وجـودها، تدير لهـا ظهـرها بمظهـر احـتـقـار. إن سلوكـهـا غـيـر مفهـوم، جعلوها ترتدى ثيابا متـواضعة تكبح شهوات جسدها، تفوقت على آجات .

جـمعت اليـتيـمتين مـحبة مـحتومة، رقـيقة، مازالت غـامضة بالنسـبـة لإليـزابيـث قلقـهـمـا مـتـشـابه. فى فـتـرة مـا بين ارتداء الملابس، تلبسان ثيابا فضفاضة بيضاء، وتستـرخيان فى الفـراء، وتتبادلان الكتب والأسرار، وتدفئان قلبيهما .

حقـا، كما تتـوافق فى المصنع حجـرة صنعهـا عـامل فى الطابق الأرضى مع حـجرة صنعهـا عـامل آخر فى الطابق الأخـير، دخلت آجات حجرة إليزابيث دون صعوبة .

كـانت إليزابيث تتمنى بعض المقاومة عند شقـيقها لدخول آجات عندها، استدركت «أنها تحمل اسم كرة من العقيق [٢]»، وأعلن بول أنها تحمل اسما مشهورا يتوافق مع القافية مع كلمة عقاب البحر [٣] ، فى واحدة من أجمل القصائد التى عرفوها .

الهوامش

(١) حيوان من أكلة الحشرات يلزم دائما جحره أثناء الليل .

(٢) آجات (Agathe) : وتنطق مثل كلمة (Agate) بمعنى كرة من العقيق .

(٣) طائر عقاب البحر ويسمى (Frégate) والفتاة تسمى (Agathe) فنجد قافية بين المقطعين الأخيرين (gath - gate) .

(١٠)

إن القـوة الآليـة الطبـيـعـيـة التى حـولت جـيـرار من بول إلى إليزابيث ، حـولت آجات من إليزابيث إلى بول ، وهذا مثـال قلما يحـدث . كـان بول يحس بالانفعال فى وجود آجات . وحـسب قدرته على التحليل ، أدرج اليتيمة بين الأشياء الممتعة .

وهكـذا دون أن يدرى بدأ يحـول نـحـو آجـات كل الأحـلام المبهمة التى كان يكرسها لدار جولو .

لقد أحس بهذا الاكتشاف المذهل ذات مـساء بينمـا الفتـاتان تزوران الحجرة .

عندمـا كـانت إليـزابيث تعرض الكنز ، استـولى علـى آجـات فزع شديد كفزع أتالى [١] وصاحت :

ـ ألديكم صورتى ؟

قـالت ذلك بصـوت غـريب حتى إن بـول رفع رأسـه من تابوته ناهضا على مرفقيه مثل شباب مدينة أنتنويه [٢] المسيحى .

قالت إليزابيث :

ـ هذه ليست صورتك .

ـ صحيح ، الملبس لا يشبه ملبسى ، ولكن هذا شىء لا يصدق .

سآخذ هذه الصورة، إنها هى بالضبط، إنها أنا، أنا، من تكون .

ـ إنه صبى، يا عزيزتى. إنه زميل مدرسة كوندورسيه الذى ضرب بول بكرة من الثلج . . إنه يشبهك، هذا صحيح .

بول، هل آجات تشبهه ؟

بمجرد أن تذكر الشبه غير الملحوظ الذى لا ينتظر إلا فرصة حتى يظهر، تعرف جيرار على الوجه الجانبى المشئوم. استدارت آجات نحو بول تاركة له حرية التصوّر، وفى انعكاس الضوء الأرجوانى رأى بول دارجولو ملوحا بالثلج، ويتلقى نفس اللطمة .

ترك رأسه تتدلى وقال بصوت مخنوق :

ـ لا، يا فتاتى، إن الصورة تشبهك أما أنت فلا تشبهينه .

أقلقت هذه الأكذوبة جيرار، فالتشابه يفقأ العين .

فى الحقيقة لم يحرك بول أى ثورة بركانية فى نفسه، كان لهذا الرقاد العميق تأثير بالغ فى نفسه ويخشى سوء عاقبته . توقفت المتعة فى فوهة هذا البركان وبخرتها غازاته المذهلة .

منذ ذلك المساء، نسج قماش بخيوط متشابكة بين بول وآجات. انتقم الزمن فقلب الامتيازات . إن دارجولو المعتز بنفسه الذى كان يمس القلوب بحب لا يقاوم تحول لفتاة خجولة يسيطر عليها بول .

ألقت إليزابيث الصورة فى الدرج. فى اليوم التالى وجدتها على المدفأة، تجهمت، لم تنطق ببنت شفه. كانت تفكر فقط . تحت الضوء الشاعرى، لاحظت أن جميع المجرمين والمخبرين

السرين، وجميع نجوم السينما الأمريكية الذين ثبتهم بول بدبابيس على الحائط يشبهون اليتيمة ودارجولو فى دور أتالى .

ألقى بها هذا الاكتشاف فى قلق لا تستطيع تفسيره وأطبق على أنفاسها. قالت لنفسها : هذا كثير، إنه يناور، إنه يخادع، وبما أنه يخادع فإنها ستخادع مثله. ستتقرب من آجات، وتهمل بول، ولن تبدى أى فضول .

كان الجو الأسرى لأشخاص الحجرة يتسم بالصراع. وقد أندهش بول عندما اخبروه بهذه الملحوظة. إن الشخص الذى كان يتبعه هو يلاحقه الآن بطريقة غامضة، ويؤمن بأنه ليس غاضبًا من ذلك. وهكذا فإن التأثير الذى يمارسه هذا الشخص عليه دون أن يدرى، والتأثير الذى يمارسه هو، بول، على شقيقته يتعارضان فى اضطرابهما فى خطين مستقيمين تماما. يتجه كل منهما نحو الآخر مثل خطين متباعدين عند القاعدة ويلتقيان من أعلى على شكل زخارف يونانية .

تقاسمت آجات وجيران الحجرة غير اللائقة التى اتخذت شيئًا فشيئًا مظهر معسكر للبوهيميين [٣] ينقصهم الجواد وليس الأطفال الذين يرتدون الملابس الرثة. اقترحت إليزابيث أن تأوى آجات، وجهزت لها مارييت الحجرة الخالية التى لا تثير، بالنسبة لها، أى ذكريات محزنة. كانت «حجرة الأم» كئيبة عند رؤيتها، وعندما يتذكرون وينتظرون قدوم الليل وهم واقفون. أضيئت الحجرة ونظفت، ويمكن الإقامة فيها فى المساء.

نقلت آجات، بمساعدة جيرار، بعض الحقائب. إنها تعرف سابقا العادات، والسهرات، والنوم، والاختلافات، والعواصف، والهدوء، ومقهى شارل وشطائره .

كان جيرار يبحث عن الفتاتين عند خروج عارضات الأزياء. تتسكعان أو تعودان إلى شارع مونمارتر. تترك لهما ماربيت عشاءً باردًا، تأكلان فى أى مكان ما عدا المائدة، وفى اليوم التالى تبدأ البريتانية فى حصد قشر البيض .

أراد بول أن ينتهز بسرعة فرصة الانتقام التى هيأها له القدر. وبما أنه عاجز عن القيام بدور دارجولو وتقليد عجرفته، فإنه استخدم الأسلحة القديمة الموجودة فى الحجرة. أى أنه يعذب آجات بشدة، وترد عليه إليزابيث بدلا منها. وهكذا يستغل بول آجات المتواضعة لكى يسىء لشقيقته بطريقة غير مباشرة. هناك أربعة يتامى منتفعين : إليزابيث التى اكتشفت وسيلة لتعقيد حوارهم، وجيرار الذى تركوه ليسترد أنفاسه، وآجات المفتونة بوقاحة بول، وبول نفسه، والوقاحة تؤدى إلى النفوذ، ولكنه لن يستفيد أبدا من هذا، فهو ليس دارجولو، إذا لم تكن آجات سببا لإهانة شقيقته .

تستمتع آجات بأنها ضحية، وتحس أن هذه الحجرة مفعمة بشحنة الحب الذى مازالت هزاته العنيفة غير مهينة وعطر الأوزون [٤] دائم فيها .

كانت آجات فتاة من مدمنى الكوكايين الذين يعاملونها بشراسة وينتحرون بالغاز. كان يسكن العمارة مدير دار كبيرة

للأزياء، استدعاها، واصطحبها عند صاحبة الدار. بعد عمل ثانوى أذن لها بعرض الملابس. أصبحت ماهرة فى الخداع، والإهانة، والألاعيب السخيفة. غيرها أصحاب الحجرة، وأثاروا الأمواج المتلاحقة والريح العاصفة المثيرة التى تنزع ملابس الراعى .

رغم هذا التفاوت، دربتها دار للمخدرات على المهانة والتهديد ومواصلة تحطيم الأثاث واللحوم الباردة التى تأكلها ليلا. فى شارع مونمارتر، لا شىء يدهشها مما يمكن أن يصدم شعور فتاة، فقد تخرجت من مدرسة قاسية وطبع نظام هذه المدرسة حول عينيها وفتحتى أنفها نوعا من الشراسة التى يمكن أن نحس فيها، فى بادئ الأمر، بعجرفة دارجولو .

فى الحجرة، ارتفعت، بطريقة ما إلى قمة العذاب، تعيش، تعيش وتتنفس، لا شىء يقلقها ولا يزعجها أبدا إلا أصدقاؤها الذين لا يلجأون إلى المخدرات، فهم يتصرفون تحت تأثير مخدر طبيعى قوى. وتناول المخدرات بالنسبة لهم هو وضع الأبيض على الأبيض والأسود على الأسود .

ومع ذلك وصل بهم الأمر إلى أن يكونوا فريسة للهذيان. وتسود الحجرة حمى المرايا المشوهة. حينئذ تكتئب آجات. وتتساءل لو أن المخدر الغامض ليس ضروريا حتى تكون طبيعية، وهل لا يؤدى كل مخدر إلى الاختناق بالغاز .

طردت قلة الهموم واستعادة الوزن شكوكها، طمأنتها .

ولكن المخدر موجود، فقد ولدت إليزابيث وبول وهما

يحملان فى دمائهما هذه المادة الخرافية. تبدأ المخدرات خلال فترات مختلفة، ويتغير شكلها. هذا التغيير المفاجئ، وهذه المراحل المختلفة فى سياق هذه الأحداث الغريبة لا تحدث مرة واحدة. وأدى هذا الانتقال غير المحسوس إلى منطقة متوسطة من الاضطراب، وتسير الأمور فى اتجاهات مضادة حتى تظهر نوايا جديدة .

بدأت اللعبة تقل رويدا رويدا فى حياة إليزابيث، وكذلك فى حياة بول ولم يعد لجيرار، الذى شغف بإليزابيث، أي دور فيها، وكذلك حاول الأخ وشقيقته، وانزعجا لأنهما لم ينجحا فى ذلك .لم ينسحبا من اللعبة، يحسان أنهما شاردان، مضطربان فى أحلامهما. حقا انصرفا إلى شىء آخر، وامتنعا عن التصرفات التى تظهرهما غاضبين. كانا يسميان المرحلة الجديدة التى تعيدهما إلى نفسيهما بمرحلة التسلية، كما حلت الحبكة الدرامية عند راسين [٥] محل الأجهزة التى كان يستعملها هذا الشاعر ليحضر وينقل آلهة احتفالات قصر فرساى .

أصبحت حفلاتهما غير منتظمة، غاصًا فى أعماقهما لطلب نظام ليسا جديرين به ولم يقابلا إلا الظلمات وأوهام المشاعر. كان بول يصيح بصوت غاضب : «زفت! زفت!» يرفع كل منهما هامته استكبارا، بول ساخط لأنه لا يستطيع أن يصل إلى هذه الأوهام، وكلمة «زفت!» هذه توضح استياءه عندما يتذكر سلوك آجات الذى أوقفه عند بداية اللعبة، واعتبرها مسؤولة

عن ذلك ووجه ضدها انحراف مزاجه. كان سبب هذا الهجوم المفاجئ بسيطا حتى إن بول تنبه له فى قرارة نفسه وإليزابيث ظاهريا. حاولت إليزابيث، من جانبها، أن تهرب وتغير سلوكها، غارقة فى تأملات مشوشة، تمسكت بهذه الحجة بسرعة لتخرج من أعماقها. خدعتها ضغينة بول العاشقة، قالت فى نفسها : «إن آجات تثيره لأنها تشبه هذا الشخص الآخر»، كان هذا الثنائى غير قادر على التفاهم، ويبذل سلفا مهارة فى حل المشاكل المعقدة، واستأنف من خلال آجات حواره الجارح .

عند الإفراط فى الصياح يبح صوتنا. خف الحوار، انقطع، وعثر الغريمان على فريسة ذات حياة حقيقية تتجاوز حلمهما، وتغيرت حياة الطفولة الخاملة المملوءة فقط بالأشياء غير الضارة .

أى غريزة محيرة للحوار، وأى انفعالات نفسية استطاعت أن تجعل يد إليزابيث تتردد يوم أن أودعت دارجولو فى خزينة الأشياء الثمينة؟ دون شك كان ذلك مصدر الغريزة والانفعال اللذان دفعا يوما ما بول حتى يصيح : «وضعوه»؟ بصوت حذر مستاء، يتفق مع ضيقه الشديد، رغم أن الصورة لم تكن غير مؤذية. استعرض بول الموضوع كشخص انكشف أمره واعترف بجريمته واتخذ مظهرا مرحا واختلق خدعة تافهة. ارتضت إليزابيث ذلك دون حماس، وغادرت الحجرة وهى تقوم بإيماءة ساخرة تعنى أنها تعرف الكثير عن ذلك وحتى تحير بول

وجيرار فى حالة ما إذا تآمرا ضدها .

يبدو أن هدوء الدرج قد أثر ببطء، وبطريقة سيئة على الصورة، ولم يكن غريبا أن يشبهها بول، وهى بيد آجات، بكرة الثلج الغامضة .

الهوامش

(١) أتالى : ملكة اليهود قبل الميلاد . تملكها الفزع لقتل ابنها .

(٢) أنتنويه : اسم قديم بمدينة طيبة فى مصر القديمة .

(٣) البوهيمى أو الغجرى يعيش يومه ولا يهتم بالغد وينتقل من مكان لآخر مستخدما الجواد .

(٤) نوع من الأكسجين ذو رائحة قوية ، يستخدم فى تطهير المياه .

(٥) شاعر فرنسى كتب المسرحيات الدرامية التى كان يعرضها فى قصر فرساى على بعد ١٤ ك.م. من باريس .

الجزء الثانى

(١١)

منذ عدة أيام والحجرة مضطربة. كانت إليزابيث تضايق بول بأسلوب الخفاء والتلميح غير المفهوم، (وتلح) في موضوع لطيف ليس له فيه أى نصيب. كانت تعامل آجات بثقة وجيرار كشريك متواطئ معها، وتغمز بعينها عندما توشك أن تتضح التلميحات. تجاوز نجاح هذا الأسلوب آمالها. عاد بول لعذابه، واستغل فضوله ومنعه الكبرياء أن يستميل في صفه جيرار أو آجات اللذان منعتهما إليزابيث فضلا عن ذلك أن يتكلما تحت طائلة أى خلاف .

استولى عليه الفضول. راقب الثالوث في الوقت الذى تطلق عليه إليزابيث «وقت خروج الفنانات» واكتشف أن شابا رياضيا ينتظر مع جيرار أمام بيت الأزياء وحمل الجميع في سيارته .

كان مسرح الأحداث ليلا أكثر حدة. كان بول يعامل شقيقته وآجات كعاهرتين وجيرار كقواد. كان يريد أن يغادر الشقة، ولكنهما تستطيعان أن تجلبا إليها الرجال. هذا ما يتوقعه. كانت عارضتا الأزياء عاهرتين، عاهرتان من المستوى

الوضيع. شقيقته كلبة صيد تجر آجات وجيرار، نعم، جيرار مسئول عن كل شيء .

بكت آجات رغم أن إليزابيث قاطعت الحديث بصوت هادئ، «اتركه، جيرار، إنه شخص غريب..» غضب جيرار وأوضح أن هذا الشاب يعرف خاله، وهو يسمى ميكائيل، وأنه يهودى أمريكى، يمتلك ثروة ضخمة وأنهم يرغبون فى الابتعاد عن تدبير المؤامرات، وتقديمه إلى بول .

صاح بول بأنه يرفض أن يتعرف على هذا اليهودى السافل، وأنه سيصفعه فى اليوم التالى وقت اللقاء .

استطرد وعيناه تلمعان بالكراهية :

ـ هذا شيء استنكره، أنت وجيرار تجران هذه الصغيرة، وتدفعانها إلى ذراعى هذا اليهودى، وربما تريدان بيعها !

أسرعت إليزابيث قائلة :

ـ لقد أخطأت يا عزيزى، أخبرك بطريقة ودية بأن الصواب قد جانبك، وأن ميكائيل يأتى لى، يريد أن يتزوجنى ويروق لى كثيرا .

ـ يتزوجك ؟ يتزوجك، أنت ! ولكنك حمقاء، ولكنك لم تشاهدى نفسك فى المرآة، ولكنك لا تصلحين للزواج، كريهة المنظر، بلهاء ! إنك ملكة البلهاء ! إنه يخدعك، ويسخر منك !

وكان يضحك ضحكة متشنجة..

تعرف إليزابيث أن مشكلة أن يكون يهوديا أم لا ليست مطروحة بالنسبة لبول أو بالنسبة لها. أحست بالدفء والراحة

وانشرح قلبها وملأ السرور كل الحجرة. كم تحب ضحكة بول! وكم كان جميلا أن يتضايق شقيقها لهذه الدرجة .

في اليوم التالي، أحس بول بأنه مثير للسخرية. اعترف بأن نقاشه الحاد تعدى حدوده. ونسى أنه قد صاح بأن الأمريكي يطمع في آجات، وقال في نفسه : «إن إليزابيث حرة يمكنها أن تتزوج أى إنسان، لا أهتم بذلك» وكان يتساءل عن أسباب ثورته .

استاء، وتدريجيا اقتنع بأن يقابل ميكائيل .

كان ميكائيل يشكل مع الحجرة تناقضا بالغا. تناقض واضح، وحاد، لدرجة أنه، فيما بعد، لم يفكر أحد من الأطفال أن يفتح له هذه الحجرة. إنه يمثل لهم المظهر الخارجي .من الوهلة الأولى نقدره حق قدره. نعرف أنه يمتلك ثروة كبيرة، وأن سباق السيارات وحده يجلب له النشوة .

كان يجب على هذا البطل السينمائي أن يتغلب على ظنون بول السابقة. استسلم بول، وانبهر. انطلقت المجموعة الصغيرة في مكان، ما عدا الأوقات التي تذكر الشركاء الأربعة بالحجرة والتي يخصصها عادة ميكائيل للنوم .

لم يتأخر ميكائيل عن المشاركة الليلية، جعلوه يفكر فيها ويتحمس لها. وشغلوه بها تماما .

عندما كانوا يقابلونه بعد ذلك، كان متأكدا بأنه يتمتع بسرور يشبه سرور تيتانيا بالنسبة للنيام في مسرحية حلم ليلة في منتصف الصيف[١] .

ـ لماذا لا أتزوج ميكائيل ؟
ـ لماذا لا تتزوج إليزابيث ميكائيل ؟
يمكن أن يتحقق مستقبل الحجرتين. دفعتهم سرعة غريبة نحو المحال وانتعش مشروع الحجرتين بما يتفق مع مشروعات المستقبل التي تركتها التوأمتان المرتبطتان بنسيج واحد للمحادثات .

تريث جيرار وحده. أدار رأسه. لم يتجرأ أبدا أن يطمع في الزواج من الساحرة، العذراء المقدسة. كان يجب، كما في الأفلام، أن ينتزعها قائد سيارة، يقدم على هذه الحركة لأنه لا يعرف حماية المكان المقدس.

استمر وضع الحجرة، واستعدوا للزواج، وظل الاتزان كما هو كاتزان مجموعة من المقاعد يؤرجحها مهرج بين خشبة المسرح والجمهور حتى يصيبه الغثيان .

غثيان مسبب للدوار يحل محل غثيان أصابع الحلوى عديمة الطعم. هؤلاء الصبية الطائشون تعمهم الفوضى ومزيج غير متجانس من الأحاسيس القذرة .

كان ميكائيل يرى الأشياء بوجهة نظر أخرى. لقد فاجأوه كثيرا عندما أعلنوا خطبته لعذراء المعبد. أحب الفتاة الفاتنة وتزوجها. قدم لها، وهو يبتسم، فندقه المسمى بالنجمة، وسيارته، وثروته .

أثثت إليزابيث حجرة نوم من طراز لويس السادس عشر. تركت لميكائيل تأثيث قاعات الاستقبال، وقاعات الموسيقى.

والرياضة البدنية، وحمام السباحة. وردهة فسيحة شديدة الغرابة تشبه حجرة المكتب. وقاعات الطعام والبلياردو أو المبارزة بالسيف بحاجز زجاجي مرتفع يطل على أشجار. تبعتها آجات. حجزت لها إليزابيث شقة صغيرة أعلى شقتها .

واجهت آجات كارثة بعدها عن الحجرة. كانت تبكي خفية على قدرتها السحرية، وجفاء بول. ماذا ستصبح لياليها؟ وظهرت المعجزة فجأة عند انقطاع الاتصال بين الأخ وشقيقته، ولكن لم تؤثر هذه القطيعة، وهذه النهاية، وهذا الانهيار على بول أو إليزابيث. لم يفكرا فى النتائج المباشرة أو غير المباشرة لتصرفهما، ولم يتساءلا فى ذلك كما لا يهتم عمل درامى بسير الحبكة أو اقتراب النهاية. ضحى جيرار بنفسه وأطاعت آجات رغبات بول .

كان بول يقول :

هذا شيء مريح جدا. إن جيرار يستطيع، عند غياب خاله، أن يقيم فى حجرة آجات (لم يعد يسمونها حجرة الأم) وإذا سافر ميكائيل ليس لدى الفتاتين إلا العودة عندنا .

ويوضح لفظ الفتاتين هذا أن بول لا يفكر فى الزواج، وأنه يواجه مستقبلاً غامضا .

بعد احتفال سريع شهده الرجال الذين يديرون ثروة الزوج التى لا تحصى، وأثناء استقرار إليزابيث وآجات، قرر ميكائيل أن يقضى أسبوعا فى إز [٢] حيث يقوم ببعض الإنشاءات وينتظر المهندس المعمارى أوامره. أخذ سيارته السريعة. كان من

الممكن أن تبدأ الحياة العادية عند عودته .

ولكن عبقرية الحجرة كانت ساهرة .

أهناك ضرورة أن نذكر ذلك؟ على الطريق بين كان [٣] ونيس [٤] قتل ميكائيل .

كانت سيارته منخفضة، ويلف رقبته بوشاح طويل يتطاير فى الهواء. لف هذا الوشاح حول محور العجلة فخنقه، وأصاب عنقه بشدة بينما انزلقت السيارة، وتحطمت، واصطدمت بشجرة وأصبحت أنقاضا ساكنة بعجلة واحدة تدور فى الهواء بسرعة تقل شيئا فشيئا مثل عجلة اليانصيب .

الهوامش

(١) تيتانيا : ملكة الجن فى مسرحية شكسبير (حلم ليلة فى منتصف الصيف)

عندما سعدت لسعادة أبطال المسرحية الأربعة (النيام) .

(٢ ، ٣ ، ٤) مدن فرنسية .

(١٢)

أرهق الميراث، والتوقيعات، والاجتماعات مع المديرين ولبس الحداد والعمل الشاق الزوجة الشابة التى لم تعرف من الزواج غير الإجراءات الشرعية. لم يدفع الخال والطبيب شيئا من جيوبهما، ولكن قاما بجهود شخصية، لم ينالا الكثير من الشكر. ألقت إليزابيث عليهما كل أعبائها .

بالاتفاق مع المديرين، صنفوا، وقدروا، وحققوا مبالغ مالية لا تمثل إلا أرقاما ترهق الخيال .

تحدثنا عن أهليتها للثروة التى بفضلها لا يمكن أن يضاف شيء للثروة الأساسية لبول وإليزابيث : ويدل الميراث على ذلك. غيرتهما كثيرا صدمة المأساة. كانا يحبان ميكائيل. وأحداث هذا الزواج المدهشة وموته وضعت هذا الكائن الغامض فى منطقة الأسرار، فقد فتح له الوشاح المثير، عندما خنقه، باب الحجرة. كان لا يمكن أن يدخلها أبدا دون ذلك .

أصبح شارع مونمارتر لا يحتمل بسبب رحيل آجات، وتنفيذ مشروع العزلة الذى كان يداعب بول عندما كان هو وشقيقته يتشاجران، وهنا توضح هذه النية أنانيته البالغة. إنه فقد كل

معنى وزاد السن من رغباته .

رغم أن هذه الرغبات غير محدودة، اكتشف بول أن العزلة التي يتمناها لن تعود عليه بأى نفع، وعلى العكس، تسبب له فراغا بشعا. انتهز فترة الهدوء حتى يقبل أن يعيش مع شقيقته.

أعطته إليزابيث حجرة ميكائيل التى يفصلها عن حجرتها حمام فسيح، أراد الخدم، ثلاثة مولودين [1] ورئيس خدم زنجى أن يعودوا إلى أمريكا. استأجرت مارييت مواطنة لها، وبقى السائق .

ما كاد بول يستقر حتى انتظم مكان نومه .

شعرت آجات بالخوف، فى الطابق الأعلى، وحدها تماما. كان بول ينام قلقا فى سرير ذى أعمدة.. وخال جيرار يزور مصانع فى ألمانيا.. اختصارا للقول كانت آجات تنام فى سرير إليزابيث. يسحب بول أدوات فراشه ليقيم مراقبته على الأريكة، ويكدس جيرار شيلانه .

كان ميكائيل يسكن هذه الحجرة الغريبة وقت الحادثة المؤلمة، وهو قادر على التسلية فى أى مكان آخر. العذراء المقدسة ! إن جيرار على حق. ليس هناك أى شخص فى العالم يستطيع أن يحظى بإليزابيث، لا هو، ولا ميكائيل. لقد كشف له الحب هذه الدائرة الغامضة التى تعزلها عن ممارسة الحب. والتعدى عليها يسبب الموت، حتى لو سلم بأن ميكائيل قد امتلك العذراء، فإنه لم يستحوذ أبدا على المعبد الذى لم يعش فيه إلا بموته .

(١٣)

نتذكر أن الفندق يحتوى على ردهة، وقاعة بلياردو صغيرة، حجرة مكتب وحجرة طعام صغيرة. كانت هذه الردهة الغريبة موجودة بالفعل من قبل وكأنها غير موجودة، فهى لا تؤدى إلى شيء. يمتد شريط من القماش الوبرى الخاص بدرجات السلم على مشمع الأرضية من اليمين وينتهى عند الحائط. عندما ندخل نرى، على اليسار، مائدة الطعام، تحت ما يشبه الثريا، وبعض المقاعد، وحواجز من الخشب يمكن أن نشكلها بسهولة كما نريد. تفصل هذه الحواجز بين المكان المخصص لحجرة الطعام وبين حجرة المكتب. وهناك أريكة ومقعد مريح من الجلد، ومكتبة متحركة، وخريطة لنصفى الكرة الأرضية. كل هذا تكدس دون نظام حول مائدة أخرى، مائدة ذات أشكال هندسية، يوجد عليها مصباح ذو عاكس هو مصدر الضوء الوحيد فى الردهة .

هناك مسافات ظلت خالية رغم بعض المقاعد الهزازة، وطاولة بلياردو فى غاية الدهشة لعزلتها، ومن مكان لآخر يعكس الزجاج المرتفع على السقف حراسا من الأضواء، وهناك

إضاءة من أسفل من الخارج تشكل صفا من الأضواء تغمر كل شيء بضوء قمر صناعي .

نعتقد أن هناك فانوسا ما يسهل إخفاء ضوءه، ونافذة تفتح بهدوء، وقفزة لص صامته .

ويذكرنا هذا السكون وهذه الأضواء في أرجاء الردهة بالثلج وحجرة الاستقبال المعلقة قديما في الهواء في شارع مونمارتر، وكل حي مونتييه الذى يغمره الثلج قبل المعركة. كانت هناك عزلة مماثلة، وتوقع، وواجهات أبنية شاحبة تبدو خلال الزجاج.

تبدو هذه الردهة كإحدى الأخطاء الغريبة في حساب مهندس معمارى اكتشف بعد فوات الأوان أنه نسى المطبخ أو السلم .

كان ميكائيل قد جدد تشييد المنزل، ولم يستطع أن يجد حلاً لمشكلة هذا الزقاق المسدود الذى ينتهى به الأمر هكذا دائما، ولكن عند شخص مثل ميكائيل الخطأ في الحساب هو مظهر الحياة، وهو اللحظة التي تصبح فيها الآلة كالإنسان وقد تخلت عن مسيرتها. هذا المكان الساكن في منزل ينبض قليلا بالحياة كان ملجأ للحياة مهما كان الأمر، تختفى في هذا الركن الفسيح يلاحقها نظام بناء قاسٍ، ومجموعة من الخرسانة والحديد، كالأميرات المبعدات عن سلطانهن، يهربن حاملات معهن أى شيء .

أعجبوا بالفندق، يقولون، «ليس هناك المزيد، لا شيء غير لا شيء، حتى بالنسبة لميلياردير هذا شيء جدير بالتقدير،

وهكذا فإن الأشخاص المبهورين بنيويورك والذين يستخفون بهذه الردهة، لا يشكون (ليس أكثر من ميكائيل) كم هي أمريكية .

إنها تحاكى بالحديد والرخام، بطريقة أفضل ألف مرة، هذه المدينة[١] التي تأوى الطوائف السرية، وأنصار مذهب الاتحاد بالرب والعلم المسيحى، ومنظمة كو ـ كلوكس ـ كلان [٢] والوصايا التي تفرض على الوريثة اختبارات غامضة، والنوادى الكئيبة، والموائد المستديرة، والسائرون نياما لإدجاربو [٣] .

هذه الردهة فى منزل المجانين، وهذا المشهد الخيالى لأشخاص توفوا يجسدون ويعلنون عن وفاتهم منذ زمن بعيد، يذكرنا كذلك بأسلوب الكاتدرائيات اليهودية وأجنحة الكنائس والمنصات فى الطابق الأربعين حيث تسكن سيدات فى كنائس على الطراز القوطى [٤]، تعزفن على الأرغن وتشعلن الشموع، لأن نيويورك تستهلك من الشموع أكثر من لورد [٥]، وروما أو أى مدينة أخرى مقدسة فى العالم كله .

ردهة صنعت للطفولة القلقة عندما لا تجرؤ على عبور بعض الممرات، وعندما تستيقظ وتسمع الأثاث الذى يطقطق وأكر الأبواب التى تدور .

كانت هذه الحجرة المخيفة الخاصة بالمهملات هى ضعف ميكائيل، وابتسامته، والمفضلة لنفسه. تكشف لديه عن وجود شيء ما سبق لقاءه مع الأطفال، وجعله جديرا بهم. وأثبتت خطأ استبعاده للحجرة وحتمية زواجه ومأساته. أصبح هناك

سر عظيم واضح : لم تتزوجه إليزابيث لثروته، أو قوته، أو رشاقته، أو جاذبيته، لقد تزوجته لموته .

كان من الطبيعي أن يبحث الطفلان في أي مكان عن حجرة في الفندق ما عدا الردهة. كانا يتجولان بين حجرتيهما كالأرواح المعذبة. لم تعد ليالي الأرق هي هذا الشبح الخفيف الذي يهرب عند صياح الديك، ولكنه شبح قلق هائم. عندما امتلك كل منهما غرفته الخاصة ولم يريدا الرجوع عما هما فيه انفرد كل منهما في حجرته غاضبا، أو يتسكعان من حجرة لأخرى، بخطى عدائية، صامتين، ونظراتهما تنبض بالكراهية.

كانت هذه الردهة تلقي عليها نوعا من السحر المؤذي، يرعبهما ذكرها، ويمنعهما من اجتياز مدخلها .

لقد لاحظا إحدى خواصها الغريبة، وليست أهونها، تنحرف الردهة في كل اتجاه كسفينة ربطت بهلب واحد .

حينما يوجد إحداهما في أية حجرة أخرى يصبح من المستحيل تحديد موقعها، وعند اجتيازها يتأكد من وضعها بالنسبة للحجرات الأخرى، وتوجهه بصعوبة ضوضاء مبهمة لأدوات المائدة الصادرة عن المطبخ .

تستعيد هذه الضوضاء وهذا السحر الطفولة الناعسة بعد ركوب القطار السلكي المعلق، وارتياد الفنادق السويسرية التي تفتح نوافذها مباشرة على العالم حيث نرى أمامها ركام الثلج، القريب جدا جدا، في الجانب الآخر من الشارع، مثل عمارة من الماس .

حينئذ كان على ميكائيل أن يصحبهم حيث ينبغى، ويمسك البوصة الذهبية، يرشدهم ويدلهم على الأماكن .

ذات ليلة كان بول مستاءً وأرادت إليزابيث أن تمنعه عن النوم، صفق الأبواب، وهرب، واعتصم بالردهة .

لم تكن الملاحظة من طبعه، ولكنه يتلقى الشواهد الكريهة بعنف، يسجلها وينسقها بسرعة لاستخدامها .

بمجرد أن أصبح بين صف الحجرات الغامض بجوانبه المظلمة والمضيئة على التوالى، وبمجرد انحصاره بين زخارف هذه الشقة الخاوية، أصبح قطا حذرا لا يفوته شىء. تلمع عيناه، يتوقف، يدور حول نفسه، يشمشم، لا يستطيع مقارنة الحجرة بحى مونتييه، والسكون الليلى بالثلج، ولكنه استرجع الآن فى أعماقه رؤيا حياة سابقة .

راقب حجرة المكتب، نهض، سحب وطوى الستار الحاجز بحيث عزل مقعدا ذا مسندين، ونام فيه، وقدماه على مقعد آخر، ثم حاول أن ينسحب، ونفسه مطمئنة، ولكن المشهد تخلى عنه ولم يعد له وجود .

كان يعانى، يعانى من الكبرياء، كان انتقامه من شبيهة دارجولو خيبة أمل تدعو للرثاء. سيطرت عليه آجات، وبدلا من أن يدرك أنه يحبها وأنها تسيطر عليه برقتها وعليه أن يستسلم للهزيمة، ثار، قاوم ما يعتقد أنه شيطانه، وقدره السىء.

لنفرغ حوضا كبيرا فى آخر بأنبوب من المطاط يكفى أن نبدأ ببساطة .

فى اليوم التالى نظم بول أموره وشيد لنفسه خلوة كما في رواية «العطلة» للكاتبة سيجور. أتاحت الحواجز فتحة كالباب. ملأت الفوضى هذا المكان المحاط بسور مفتوح من أعلى، وساهمت فى الحياة غير الطبيعية للمكان، أحضر بول التمثال النصفى المصنوع من الجبس، والخزينة والكتب، والعلب الفارغة. تكدست البياضات القذرة. تعكس مرآة كبيرة كل شيء منظور. استخدم سرير مطوى كمقعد، وتغطى قطعة القماش الحمراء عاكس الضوء.

انتقلت إليزابيث وآجات وجيرار إثر بول، بعد أن وجه لهم الزيارة، لأنهم لا يستطيعون الحياة بعيدا عن مشهد هذا الأثاث المثير.

انتعشوا، أقاموا المعسكرات، استفادوا من الأماكن التى يضيئها القمر وكذلك المظلمة.

بعد أسبوع حل الترمس محل قهوة شارل، والحواجز لا تشكل إلا حجرة واحدة، جزيرة صحراء محاطة بمشمع الأرضية.

منذ الاضطراب الذى حدث لحجرتى النوم، كانت آجات وجيرار يخرجان غالبا معا، عندما أدركا وأدانا المزاج السيء لبول وإليزابيث (مزاج سيء دون أى ادعاء) بالنسبة للود المفقود. كانا يخرجان كثيراً، معاً، وكانت صداقتهما العميقة هى صداقة المرضى الذى يعانون من نفس الألم. وضعت آجات بول فى مكانة عالية عن الأرض كما فعل جيرار وإليزابيث،

كلاهما يحب الآخر، لا ينتحبان ولا يتجرأن أن يعلنا عن حبهما. حقا، يحب كل منهما معبوده، مرفوع الرأس، تحب آجات شاب الثلج، وجيرار العذراء القاسية .

لم يرد أبدا لأى منهما فكرة الاعتقاد بأنه يستطيع أن ينال، مقابل حماسه، شيئاً آخر غير العطف. يندهشان لتحمل الغير لهما، ويخافان أن يثقلا على حلم الاخوة ويبتعدان برقة عندما يقتنعان بهذا الثقل .

نسيت إليزابيث سياراتها. ذكّرها السائق بها. ذات مساء اصطحبت جيرار وآجات فى نزهة، بينما بول ظل حبيس موقفه، يستكشف حبه .

بينما كان ينتظر حتى الدوار صورة آجات المزيفة، أذهله هذا الاكتشاف، وفقأ عينيه. كان يشبه الأشخاص الذين يرون الحروف متداخلة، ولا يستطيعون رؤية السطور الضئيلة التى تظهر بداية هذه الحروف متشابكة .

تبدو الحواجز كحجرة ممثلة فى مسرح، وبها مجلات ممزقة من شارع مونمارتر، تشبه المستنقعات الصينية التى تتفتح فيها أزهار اللوتس فى الفجر بصوت القبلات المسموع، تبهج على التوالى وجوه قاطفيها وممثلات هذه الحجرة. تظهر صورة بول، تتكاثر الصور وكأنها فى قصر من المرايا، بدأت أولا صورة دارجولو واتضحت بين عدد صغير من الفتيات المنتقيات فى الظلام، أضيفت للوجوه بعض القسمات البسيطة وظهر له جليا وجه آجات كم من إعداد، وتخطيط، وتنقيح قبل الحب !

وهو الذى كان يعتقد أنه ضحية اتفاق بين الفتاة وهذا المبتدئ. عرف كيف كشف القدر أسلحته، وبطأه فى التصويب، والعثور على الحب .

لم تلعب هنا ميول بول الخفية أى دور نحو شخص بذاته، لأن القدر جعل آجات رفيقة لإليزابيث من بين ألف فتاة، كان مستعدا للانتحار بالغاز حتى يعرف من المسؤولين عن ذلك .

اندهش بول لهذه المصادفة ودون شك يمكن أن تصبح دهشته بلا حدود إذا لم ينحصر بعد نظره المفاجئ فى حبه. لقد لاحظ عندئذ كيف يجتهد القدر، مقلدا مكوك عاملات تخريم الدانتلا، يخزنا بدبابيسه ويتعبنا .

فى هذه الحجرة التى أعدت بشكل ما للتنظيم والاستقرار أخذ يفكر فى حبه، ولم يشرك فيه بداية آجات تحت أى شكل دينيوى. تحمس وحده. فجأة رأى وجهه الهادئ فى المرآة. خجل من الهيئة العابسة التى صورتها له حماقته. أراد أن يقابل الشر بالشر إلا أن شره أصبح خيرا، وسيقابل الخير بالخير بأسرع ما يمكن. هل سيكون جديراً بذلك ؟ إنه يحب، ولا يعنى ذلك إلا أن يكون هذا الحب متبادلا، ويمكن أن يصبح كذلك دائما .

بعيدا عن التصور استوحى الاحترام، وبدا له احترام آجات كالكراهية، ولم يكن لمعاناته أى علاقة بهذه الفكرة، أنها معاناة مكتومة يعتقد أنها بسبب تمسكه بكبريائه. سيطرت عليه آجات، أزعجته وألزمته بالإجابة، ليس لها شىء ثابت، عليه أن يتصرف، ويحث عما يتفق معه. إنه لن يجرؤ أبدا على

الكلام. وفضلا عن ذلك، أين الكلام؟ إن طقوس الديانة الشائعة واختلافاتها تجعل مغامرته غاية فى الصعوبة وطبيعة وجودها المضطربة تقتضى بعض الأشياء البسيطة الخاصة التى تذكر فى أوقات خالصة معينة، يخشى أن يتفوه بها دون أن يؤخذ كلامه على محمل الجد .

قرر أن يكتب. إن سقوط حجر يعكر الصفو، والحجر الثانى يؤدى إلى نتائج أخرى لا يستطيع أن يتنبأ بها، ولكنها ستنوب عنه، سيصبح هذا الخطاب (رسالة مستعجلة) عرضة للمصادفة، إما أنه سيقع وسط المجموعة، وإما عند آجات وحدها، وسيتصرف حسب ذلك .

أخفى اضطرابه وتظاهر بالاستياء حتى اليوم التالى، وانتهز الفرصة حتي يكتب ولا يظهر وجهه الغاضب .

أغاظ هذا التصرف إليزابيث وثبط همة المسكينة آجات. اعتقدت أن بول يكرهها ويتجنبها. فى اليوم التالى ادعت أنها مريضة، رقدت وتناولت العشاء فى حجرتها .

بعد عشاء حزين منفردة مع جيرار، أوفدته إليزابيث لدى بول، توسلت إليه أن يحاول الدخول ويستجوبه، ويعرف بماذا يلومهم، بينما تهتم بزكام أصاب آجات .

وجدتها تبكى منبطحة على بطنها، ووجهها فى الوسادة، كانت إليزابيث شاحبة. أيقظت حالة القلق فى المنزل بعض الجوانب الساكنة نفسها. شعر بالغموض، وتساءلت عنه. ولم يعد لفضولها حدود. لاطفت المسكينة، خففت حزنها،

وجعلت تعترف .

انتحبت آجات :

ـ أحبه ، أعبده ، يحتقرني .

كان ذلك إذن بسبب الحب ، ابتسمت إليزابيث :

ـ ها هي مجنونة صغيرة .

صاحت وهي تعتقد أن آجات تتحدث عن جيرار .

ـ أريد أن أعرف بأي حق يحتقرك . هل قال لك ذلك ؟ لا ! إذن ؟ إنه محظوظ هذا الأبله ! إذا كنت تحبينه ، فعليه أن يتزوجك ، ويجب أن تتزوجيه .

ذرفت آجات دموعها ، اطمأنت ، خدرتها بساطة هذه الشقيقة ، وهذه النتيجة غير المتوقعة التي افترضتها إليزابيث بدلا من أن تسخر منها ، وهمست على كتف الأرملة الشابة :

ـ ليز ... ليز ، أنت طيبة ، غاية في الطيبة .. ولكن لا يحبني .

ـ هل أنت على يقين من ذلك ؟

ـ مستحيل ...

ـ إنك تعرفين ، جيرار فتى خجول ...

واستطردت :

ـ هادئ ، لطيف .

عندما اعتدلت آجات كان كتف إليزابيث مبللا بالدموع .

ـ ولكن .. ليز ... لا أعني جيرار .. إني أتكلم عن بول .

نهضت إليزابيث ، تلعثمت آجات :

ـ معذرة ... اغفري لي ..

أحست إليزابيث بأنها تلاشت وهي واقفة، عيناها محدقتان واليدان متدليتان، كما كانت ترى حجرة المريضة وكما رأت سابقا استبدال أمها بسيدة أخرى ميتة ليست أمها، كانت تنظر آجات، وترى بدلا من هذه البنت الصغيرة الباكية أتالي (٦) الكئيبة، سارقة دخلت المنزل .

أرادت أن تعف، تمالكت نفسها، واقتربت لتجلس على حافة السرير .

ـ بول ! هذا شيء محير . لم أشك أبدا .

اتخذت صوتا رقيقا .

ـ ها هي مفاجأة ! هذا شيء غريب، ومحير . أخبريني، أخبريني بسرعة .

احتضنتها من جديد، وهدأتها واجتذبت الأسرار، واستوضحت بالحيلة كل الأحاسيس الغامضة .

جففت آجات دموعها، تمخضت، واستسلمت للملاطفة والإقناع، وباحت بما في قلبها، وكشفت لإليزابيث عن اعترافات لم تجرؤ أبدا أن تعبر عنها لنفسها .

كانت إليزابيث تصغي وهي تتظاهر بالتواضع والحب السامي، والصغيرة تتحدث مستندة على عنق وكتف شقيقة بول مذهولة لرؤية وجه قاضٍ عديم الرحمة ذو يد آلية تداعب شعرها .

تركت إليزابيث السرير، ابتسمت وقالت :

ـ اسمعي، استريحي، اهدئي هذا شيء بسيط، وسأستطلع

رأى بول.

نهضت آجات مذعورة :

ـ لا، لا، حتى لا يشك فى شىء ما ! أتوسل إليك ! ليز، ليز، لا تخبريه.

ـ اتركى هذا الموضوع، يا عزيزتى، أنت تحبين بول فإذا كان يحبك سيكون كل شىء على ما يرام. لن أبيعك، اهدئى. سوف أسأله دون أن أظهر ذلك، سأعرف، ثقى بى، نامى، لا تتحركى من حجرتك .

هبطت إليزابيث درجات السلم. كانت ترتدى بُرنس حمام من الإسفنج، مربوط عند خصرها بربطة عنق، يتدلى ذيل البرنس ويضايقها، ولكنها تهبط بطريقة آلية لا تسمع إلا صوتا مبهما. تحركها هذه الآلية، وتمنع طرف البرنس أن يأتى تحت نعليها الخفيفين، وترشدها فى الاتجاه يمينا ويسارا، وتساعدها فى فتح وغلق الأبواب. تحس أنها إنسان آلى معد لعدد معين من التصرفات التى يجب أن يؤديها وإلا تحطم فى الطريق. كان قلبها يدق بضربات قوية، وأذناها تطنان. لا تفكر أى تفكير يتناسب مع هذه الخطوة النشيطة. يجعلنا الخيال نسمع إلى هذه الخطوات الثقيلة التى تقترب وتحس وتعطينا مشية أخف من الطيران وتمزج بين ثقل تمثال وسلاسة الغواصين تحت الماء .

تسير إليزابيث فى الممرات متزنة، خفيفة، منطلقة كما لو أن برنسها أحاط عرقوبها بغليان يشير عند السذج إلى

الأشخاص الخارقين للطبيعة . رأسها خاوية ، لا تحوى إلا تفكيرا مبهما ، وصدرها يدق بضربات حطاب منتظمة .

منذ ذلك الحين ، كان على الفتاة ألا تتوقف . سيطرت عليها عبقرية الحجرة وتجاوزتها كما تسيطر أى عبقرية على رجل أعمال تملى عليه أوامرها التى تجنبه الإفلاس ، وعلى البحار سلوك ينقذ السفينة ، وعلى المجرم كلمات تثبت أنه كان فى مكان آخر غير مكان الجريمة .

قادتها هذه المسيرة أمام السلم الصغير الذى يؤدى إلى الردهة الخاوية ، كان جيرار خارجا منها ، قال :

ـ كنت أبحث عنك ، إن بول غـــريب الأطوار ، يريد أن أستدعيكِ . كيف حال المريضة ؟

ـ عندها صداع نصفى ، وطلبت أن نتركها تنام .

ـ سأصعد عندها .

ـ لا تصعد . إنها نائمة ، اذهب إلى حجرتى ، انتظرنى هناك بينما أرى بول .

دخلت إليزابيث وهى متأكدة من طاعة جيرار السلبية . استيقظت إليزابيث القديمة مرة أخرى . تأملت الألعاب غير الحقيقة للقمر الصناعى ، والثلج الصناعى ، ومشمع الأرضية اللامع الذى ينعكس عليه الأثاث المتناثر ، وفى الوسط ، المدينة الصينية ، والسور المقدس ، والجدران الانسيابية العالية التى تشرف على الحجرة .

دارت حول هذه الأشياء ، أبعدت صحيفة ، ووجدت بول

جالسا على الأرض، يستند نصفه الأعلى وقفاه على الأغطية، كان يبكي. لم تكن دموعه هي تلك الدموع التي كان يذرفها على الصداقة المنهارة، ولا تشبه دموع آجات، إنها تتكون بين أهدابه، تزداد، تفيض وتنساب على مسافات طويلة، تنحرف وتصل إلى فمه المنفرج حيث تتوقف ثم تنساب ثانية كأى دموع أخرى .

كان بول ينتظر من الرسالة السريعة نتيجة عنيفة. لا تستطيع آجات إلا أن تستقبله. كادت أن تقضي عليه هذه الضربة عديمة الجدوى وهذا الانتظار، تخلت عنه التعهدات التي اتخذها والحذر والسكون. كان يريد أن يعرف مهما كلفه الأمر . أصبح الشك لا يحتمل. إن إليزابيث خارجة من عند آجات، سألها :

- أية رسالة ؟

عادت إليزابيث إلى طرقها الخاصة، دون شك حدث شجار وأذهلتها الإهانة. طلبت من بول أن يسكت، ويجيبها، ويصيح عاليا، ولكن أمام محكمة، محكمة رقيقة اعترف أقر باكتشافه، وحماقته، ورسالته، وتوسل لشقيقته أن تقول له لو أن آجات ترفضه .

لم تحرك تلك الضربات المتتالية عند التمثال المتحرك إلا تهورا يغير سلوكياته. ذعرت إليزابيث من هذه الرسالة. هل عرفت آجات وسخرت منها؟ أنسيت أن تفتح الرسالة وتعرفت على الخط، أم هي في سبيل فتحها؟ هل ستظهر ؟

قالت :

ـ مهلا ، يا عزيزى ، انتظرنى ، لدى أمور ذات شأن سأقولها لك . لم تحدثنى آجات عن رسالتك . لن تختفى هذه الرسالة ويجب أن نجدها ، سأصعد مرة أخرى ، سأعود بعد قليل .

استأذنت وتذكرت أنين آجات ، وتساءلت إذا كانت هذه الرسالة لم توضع فى البهو . لم يخرج أحد ، ولم يرَ جيرار الرسائل . إذا ربما تركت فى الطابق الأسفل . يمكن أن تكون هناك .

كانت هناك . ظرف أصفر مفروك ، مقوس مثل ورقة شجر جافة ، موضوع على صينية .

أضاءت النور . كان خط بول ، خط غليظ لتلميذ سيىء ، ولكن الظرف كان يحمل عنوانه هو ، بول يكتب لبول ! مزقت إليزابيث الظرف .

كان هذا البيت يجهل أوراق الرسائل ، وكانوا يكتبون على أى شيء . فضت ورقة مربعة ، رسالة خالية من الإمضاء .

« آجات ، لا تغضبى ، أنى أحبك . كنت أحمق . كنت أعتقد أنك تحقدين علىّ . اكتشفت أنى أحبك ، وإذا كنت لا تحبيننى سأموت . أتوسل إليك أن تردى على . إنى أتعذب . لن أتحرك من الردهة » .

أخرجت إليزابيث لسانها قليلا . هزت كتفيها . كان العنوان باسمه ، فقد كتب بول اسمه على الظرف لاضطرابه واستعجاله . إنها تعرف أساليبه ، ولم يغيرها أحد .

افترضت أن الرسالة عادت كالطوق [٧] بين يدى بول، بدلا من أن تظل بالطرقة، وأن اليأس سيستحوذ عليه من عودة الرسالة حتى يمزق الورقة ويفقد الأمل. إنها تستطيع أن تجنبه النتائج المؤسفة التى تشتت أفكاره .

ذهبت إلى مرحاض غرفة الثياب، مزقت الرسالة وأخفت آثارها .

عادت إلى البائس، أخبرته بأنها آتية من حجرة آجات، وأنها نائمة. والرسالة عندها موضوعة على الصيوان الصغير: ظرف أصفر تخرج منه ورقة مطبخ، تعرفت على هذا الظرف، لأنه يوجد ربطة من الظروف المماثلة على مائدة بول .

ـ ألم تكلمك فى شىء ؟

ـ لا، وأريد كذلك ألا تعلم أبدا أنى رأيتها. ولا ينبغى أن نسألها إذن عن شىء، ستجيب بأنها لا تشك فيما نريد أن نقول .

لم يخطر على ذهن بول النتيجة التى يمكن أن تحدثها هذه الرسالة. كانت رغبته تميل نحو احتمالات النجاح. لم يتوقع هذه الهوة، وهذه الفجوة. سالت دموعه على خده الأيمن، واسته إليزابيث، روت بالتفصيل مشهدا باحت لها فيه الصغيرة بحبها الذى تكنه لجيرار، حب جيرار، وعزمهما على الزواج .

أطالت فى شرحها :

ـ شىء غريب ألا يكلمك جيرار فى ذلك. سأهدده وأمنعه.

أما بالنسبة لك فهذا شيء آخر، إنه يعتقد أنك ستسخر منهما.

سكت بول وابتلع مرارة هذا الخبر غير المفهوم. شرحت إليزابيث قضيتها التى تريد اثباتها. بول أحمق! آجات فتاة صغيرة بسيطة، وجيرار شاب شهم. لقد خلق كل منهما للآخر. أصبح خال جيرار كهلا، وسيصبح جيرار ثريا، حرا، سيتزوج آجات وسيؤسس أسرة متيسرة الحال من الطبقة الوسطى، ولا يعترض حظهما أية عقبة. من القسوة والجرم، نعم من الجرم أن يتدخل أحد بينهما، وأن يسبب مأساة ويزعج آجات، ويحزن جيرار، ويفسد مستقبلهما. لا يسع بول أن يفعل هذا. إنه يتصرف تحت تأثير نزوة عابرة. إنه يفكر ويدرك أن نزوته لن تقف ضد حب متبادل.

تكلمت لمدة ساعة، تكلمت، دافعت عن قضية عادلة. تحمست. اندمجت فى المرافعة. انتحبت، خفض بول رأسه، أذعن للأمر، استسلم بين يديها. وعد بأن يسكت وأن يظهر وجها بشوشا للثنائى الشاب عندما سيعلنان له الخبر، وأكد صمت آجات بالنسبة لموضوع الرسالة قراره على النسيان، واعتبر إرسال هذال الخطاب نزوة، ولا يحمل أية ضغينة. ولكن، بعد هذه الرسالة، من الممكن أن يكون هناك مضايقة يحس بها جيرار فجأة. ستعالج فترة الخطوبة الأمور وتلهى كلاهما، وبعد ذلك ستكتسح رحلة الزواج كل هذه المضايقات نهائيًا.

جففت إليزابيث دموع بول، قبلته، غطته، وتركت مكان الفريسة. كان عليها أن تتابع عملها. تعلم بفطرتها أن القتلة

يضربون بلا انقطاع، ولا يستطيعوا التقاط أنفاسهم. واصلت مسيرتها كالعنكبوت الليلى الذى ينسج خيوطه ويضىء كمينه طوال الليل، ببطء، خفيف، لا يكل .

وجدت جيرار عندها. كان يعانى من الملل وصاح :

ـ حسنا ؟

زجرته إليزابيث .

ـ ألن تتخلى أبدا عن عادة الصياح هذه. حسنا. إن بول مريض. إنه أحمق لتحمله كل ذلك وحده. يكفى أن تنظر إلى عينيه ولسانه. لقد أصابته الحمى، سيقرر الطبيب لو أن ذلك زكام أو عاوده المرض. عن نفسى سآمره بأن يلزم الفراش، وألا يراك. ستنام فى حجرته . . .

ـ لا، إنى سأنصرف .

ـ انتظر. عندى ما أقوله لك .

كان صوت إليزابيث رزينا. أجلسته، سارت طولا وعرضا وسألته عما يعتزم أن يفعل نحو آجات .

سأل :

ـ أفعل ماذا ؟

ـ كيف؟ ماذا ؟

وبصوت جاف، متغطرس، سألته لو كان يخدعها، وهل لا يعرف أن آجات تحبه وتأمل أن يطلبها للزواج، ولكنها لا تبرر صمتها .

فتح جيرار عينيه ببلاهة، وذهل، تلعثم :

ـ آجات. . . آجات . .

اندفعت إليزابيث فى حدة :

ـ نعم، آجات .

كان جيرار لا يفقه شيئا ، على الإطلاق . كان يجب أن ترشده جولاته مع آجات . وقليلا حولت ثقة الفتاة نحو جيرار إلى حب ، وحددت المواعيد ، وقدمت الدليل ، وهزت جيرار بطائفة من البراهين . أضافت أن آجات تعانى وتتخيل أنه يحب إليزابيث ، وهذا شيء مضحك ، وأن قدرها ، قدر إليزابيث ، يجعل ذلك معقداً بكل وسيلة . تمنى جيرار أن يختفى فى جب . كانت قسوة اللوم بسيطة فى أسلوب إليزابيث التى لا تهتم بالمسائل المالية ، لدرجة أنه أحس باضطراب فظيع . انتهزت هذا الاضطراب لتقضى عليه . حذرته ألا ينظر إليها بفتور بينما تضرب رأسها بقسوة ، وطلب منه أن يتزوج آجات وألا يبوح بدورها المسالم . عدم إدراك جيرار أجبره على القيام بهذا الدور ، وفى هذه الحالة لا تتحمل هى أى مسئولية عندما تعتقد آجات أنها مدينة لها بسعادتها .

أنهت حديثها :

ـ هيا ، ها هو عمل حسن . ارقد ، سأذهب عند آجات وأعلن لها هذا الخبر . أنت تحبها ، وأن جنون العظمة ينتابك استيقظ . هنئ نفسك . قبلنى واعترف بأنك أسعد رجل فى العالم .

وافق جيرار على ما طلبته الفتاة وهو مذهول ، مجذوب . احتجزته ، وصعدت عند آجات لتكمل شراكها .

من بين ضحايا القاتل ، توجد فتاة تقاوم بشدة .

ترنحت آجات تحت الضربات ولم تستسلم. أخيرا، انهارت من التعب بعد صراع عنيف شرحت لها إليزابيث خلاله أن بول غير جدير بالحب، وأنه لا يحبها لأنه لم يحب أحدا، ويحطم نفسه، وأن هذا الشخص سيىء الطباع أنانى يمكن أن يسبب ضياع سيدة ساذجة. ومن جهة أخرى، جيرار شخص ذو قلب نبيل، مهذب، عاشق، جدير بأن يحقق الأمان للمستقبل، وسترتبط الفتاة بأحضانه التى تشدها لحلمه. رأتها إليزابيث متدلية خارج أغطية السرير، خصلات شعرها متلاصقة، وجهها للخلف، إحدى يديها على جرح كرامتها والأخرى تسقط على الأرض كالحجر.

رفعتها، زينتها، أقسمت لها أن بول لا يشك فى اعترافاتها، ويكفى أن تعلن له آجات مبتهجة زواجها من جيرار حتى لا يشك أبدا فى ذلك.

ـ شكرا.. شكرا.. إنك طيبة.

شهقت المسكينة باكية.

قالت إليزابيث:

ـ لا تشكرينى، نامى.

وغادرت الحجرة.

توقفت لحظة، وأحست بالهدوء، والقسوة، فقد تخلصت من حملها، كانت على وشك الوصول أسفل درجات السلم عندما بدأ قلبها يدق مرة أخرى، لقد سمعت شيئا ما، وعندما رفعت قدمها رأت بول يقترب.

كان رداؤها الطويل الأبيض يضيء الظلام. أدركت إليزابيث في الحال أنه يمشي فريسة إحدى نوبات المشى الصغيرة المتعددة أثناء النوم كما كان يفعل في شارع مونمارتر، والتي تسبب لها دائما الكراهية. استندت على درابزين السلم، محتفظة بقدمها معلقة، لا تجرؤ أن تتحرك أكثر من ذلك خوفا من أن يستيقظ بول ويسألها عن موضوع آجات، ولكنه لا يراها. لا يقع نظره على هذه السيدة الطائرة أكثر من رؤيته لأحد المصابيح. كان ينظر إلى السلم. فزعت إليزابيث لدقات قلبها وتكاد تسمعه كضربات حطاب .

بعد وقفة قصيرة عاد بول على عقبيه. أنزلت قدمها المخدرة. سمعته وهو يبتعد نحو الهدوء. عادت بعد ذلك إلى حجرتها .

كانت الحجرة المجاورة ساكنة. هل جيرار نائم؟ ظلت واقفة أمام التسريحة، شغلتها المرآة، خفضت عينيها وغسلت يديها المرعبتين .

الهوامش

(١) نيويورك .

(٢) منظمة عنصرية فى أمريكا ، معادية للزنوج واليهود والمسلمين ، يلبس أنصارها أقنعة ويحرقون بيوت الزنوج ، أصبحت علنية الآن .

(٣) كاتب وشاعر أمريكى تدور أعماله فى عالم غريب .

(٤) الذى يتميز بالقباب المعقودة .

(٥) مدينة ، عاصمة البرانس العليا .

(٦) ملكة يهودية فى مسرحية الكاتب الفرنسى راسين ، المعروفة بهذا الاسم . بعد موت ابنها استولت على العرش بعد أن قتلت أبناء زوجها .

(٧) طوق من الخشب أو المعدن يلعب به الأطفال ، يدفعونه أمامهم ، ثم يعود إليهم .

(١٤)

أحس الخال بشدة المرض، فأسرعوا بالخطوبة والزواج فى سرور مفتعل، كل يقوم بدوره ويتبارى فى الكرم، ومن جهة أخرى يثقل سكون مميت على هذه الحفلات، وأثناء ذاك كان بول وجيرار وآجات يحملون إليزابيث فوق طاقتها وهم فى مبتهجين. حاولت عبثا أن تقنع نفسها بأن حزمها الشديد أنقذهم من كارثة، وأن بفضلها لم تعد آجات ضحية اضطراب بول، ولم يعد بول ضحية لمستوى آجات الأدنى. ثرثرت عبثا : إن جيرار وآجات من نفس المستوى، يبحث كل منهما عن الآخر من خلالنا، وبعد عام سيكون لديهما طفل، وسيشكران الظروف. نسيت مساعيها الليلية القاسية كأنها تخرج من نعاس مرضى، وعبثا تحاول أن تجعلهما يلتزمان بحكمة تحميهما، إنها لا تحس بأدنى قلق نحو البؤساء، وتخشى أن تترك الثلاثة معا .

كانت تثق فى كل منهم. تحميها رقتهم ضد أى مجابهة للأعمال التى يخاطرون بسوء استخدامها، وينسبونها لسوء النية. أية سوء نية؟ سوء نية لماذا؟ سوء نية لأى سبب؟ اطمأنت

إليـزابيث وهي تتسـاءل، ولم تجد أي رد. إنهـا تحب هؤلاء المسـاكين. جعلتهم ضحايا بدافع المصلحة والعاطفة. ترعاهم، تساعدهم، تخرجهم وتخلصهم رغما عنهم من الحيـرة التي يعدها لهم المستقبل. أتعبت قلبها هذه المهمة الشاقة. ينبغي ذلك. ينبغي ذلك .

ـ ينبغي ذلك .

كررت إليزابيث القول مرارا، وكأنها تقبل على عملية جراحية خطيرة. أصبح سكينها مشرطا. عليها أن تقرر في نفس الليلة، وتخدر وتجرى العملية الجراحية. هنأت نفسها لهذه الحاشية، ولكن دفعتها ضحكة لآجات نحو الحلم. جلست إلى المائدة، سمعت هذه الضحكة الزائفة، ورأت مظهر بول السيىء، وتكشيرة جيرار المحبوبة، وعادت لشكوكها، طردت الهلع والتفاصيل القاسية، وأوهام تلك الليلة المشهورة .

تركت رحلة الزواج الأخ وشقيقته وجها لوجه. ساءت صحة بول شيئا فشيئا. شاركته الحصار، كانت تسهر عليه وتعتني به ليلاً ونهاراً. ولا يدرك الطبيب معاودة هذا المرض الذى لا يعرف أعراضه. تزعجه الحجرة ذات الحواجز. كان يريد أن يضع بول في حجرة مريحة، اعترض بول على ذلك. كان يعيش في بياضات عديمة الشكل. تعكس قطعة النسيج الحمراء الضوء على تلك التى تسمى إليزابيث وهى جالسة، وجنتاها بين يديها، وعيناها محدقتان، يفتك بها اهتمام كئيب. تلون قطعة القماش الحمراء وجه المريض، خدعت إليزابيث كما انخدع

جيرار من مضخات الإطفاء، ورسخت هذا الجو الذى لم يعد يتغذى إلا بالأكاذيب .

استدعى موت الخال جيرار وآجات. استقرا فى شارع لافيت، رغم إلحاح إليزابيث التى تخلت لهما عن طابق. واعتقدت أن الزوجين متفاهمان، وحققا بعض السعادة (الجديرة بهما) وأنهما يخشيان من الآن جو الفندق غير المنتظم، ويخشى بول موافقتهما، وتنفس الصعداء عندما أخبرته إليزابيث بقرارهما :

- إنهما يجدان أن أمثالنا يعرضون حياتهما للخطر. لم يرسل لى جيرار ليقول ذلك، يخشى قدوتنا بالنسبة لآجات، أؤكد لك بأنى لم أتخيل شيئا، لقد أصبح مثل خاله. كنت أصغى إليه، وأنا مذهولة. وأتساءل لو كان يمثل مسرحية، لو يدرك سخريته .

من وقت لآخر كان الزوجان حديثا العهد بالزواج يتغذيان أو يتعشيان في ليتوال [1] استيقظ بول، صعد إلى حجرة الطعام، تجدد الضغط النفسى تحت نظر ماريييت، نظرة حزينة لبريتانية تحس بالمصيبة .



(١٥)

ذات صباح جلسوا لتناول الطعام .

ـ خمن من قابلت اليوم ؟

سأل جيرار بول وهو سعيد ، مط بول شفتيه متسائلاً :

ـ دارجولو !

ـ لا ؟

ـ بلى ، يا عزيزى ، دارجولو !

كان جيرار يعبر شارعا ، عندما كاد يسحقه دارجولو وهو يقود سيارة صغيرة . توقف ، كان يعلم من قبل بالميراث ، وأن جيرار يدير مصانع خاله ، ويريد أن يزور أحد هذه المصانع . لم يضل الطريق .

سأل بول لو كان قد تغير .

ـ كما هو ، شاحب قليلا . يمكن أن نتخيل أنه شقيق آجات . لم يعد يتعالى على أحد ، كان لطيفا جدا . يذهب ويجىء بين الهند الصينية وفرنسا . إنه مندوب نوع من السيارات . اصطحب جيرار إلى حجرته فى الفندق ، وسأله لو يتردد على كرة الثلج [١] .. أخيراً ، شخصية كرة الثلج .. هى بول .

ـ وبعد ذلك ؟

ـ أجبته بأنى أراك . سألني : «هل مازال يحب السم؟» .

ـ السم ؟

انفزعت آجات واندهشت .

صاح بول :

ـ بالتأكيد ، إنه عدوانى . السم ، هذا شيء عجيب ! فى حجرة الدراسة كنت أتمنى أن أحصل على بعض السم (من الدقة أن يقول : كان دارجولو يحلم بالسموم ، وكنت أقلده) .

سألت آجات لماذا يفعل ذلك ؟

أجاب بول :

ـ بلا سبب ، ليحصل عليه ، ليحصل على السم . هذا شيء عجيب ! كنت أحب أن أحصل على بعض السم كما أحب أن أحصل على الريحان والباذنجان ، كما أملك مسدساً . إنه هنا ، أعلم هنا ، إنى أراه ، السم ، هذا عجيب !

أقرت إليزابيث هذا ، أقرت رغم اعتراض آجات وبروح الحجرة . إنها تحب كثيرا السم . فى شارع مونمارتر كانت تصنع سما مغشوشا ، تملأ قوارير وتحكم سدادها ، وتلصق عليها بطاقات تثير الرعب ، وتخترع لها أسماءً غامضة .

ـ يا لها من بشاعة ، جيرار ، إنهما طائشان ! سينته بكما الأمر فى محكمة الجنايات .

هذه الثورة البرجوازية لآجات سحرت إليزابيث ، وأوضحت الموقف الذى اتخذته للزوجين حديثا العهد بالزواج .

استبعدت سماجة تصورها لذلك، ونظرت خلسة نحو بول.

استطرد جيرار:

- اخرج لي دارجولو سموما من الصين، والهند، وجزر أنتي[٢]. والمكسيك، سموم السهم، وسموم التعذيب، وسموم الانتقام، وسموم التضحية. ضحك وقال «أخبر كرة الثلج أني لم أتغير منذ أيام الدراسة. كنت أريد أن أعد مجموعة من السموم، وجمعتها، خذ، أعطه هذه اللعبة.».

سحب جيرار من جيبه ربطة ملفوفة في ورقة صحيفة يومية. نفد صبر بول وشقيقته، بينما ظلت آجات في الجانب الآخر من الحجرة.

فضوا الصحيفة. كانت تحتوي على كرة ذات لون قاتم بحجم قبضة اليد مغلفة بإحدى الأوراق الصينية التي تتمزق كالقطن المندوف، بها شق يظهر كأنه جرح سكين لامع، ضارب إلى الحمرة وما بقي منها بلون التراب،على شكل لفت الرعد [٣]. يفوح منها أحيانا رائحة الطين المتماسك المبلل، وأحيانا رائحة البصل القوية وعطر نبات الخُبيزة.

التزم الجميع الصمت، فرضت عليهم هذه الكرة السكوت، وسلبت لبهم، ونفروا منهما كأنها مجموعة من الثعابين، واعتقدوا أنها مكونة من أفعى واحدة، اكتشفوا أن لها عدة رؤوس، تنبعث منها مهابة الموت.

قال بول:

- هذا مخدر، إنه يتعاطى المخدرات، لا يمكن أن يوزع سما.

مدّ يده.

ـ لا تلمسها ! (قاطعه جيرار) سم أو مخدر، إن دارجولو يقدمه لك، ولكن يوصيك بعدم لمسه إطلاقا. ومع ذلك، فأنت لا تدرك ما تفعل، ولن أترك لك هذه القذارة التى ليس لها فائدة للناس .

غضب بول. كان يميل لرأى إليزابيث. بدت السخرية على وجه جيرار، تذكر خاله ..

صاحت إليزابيث ساخرة .

ـ لا يدرك؟ سترون !

قبضت على الكرة بالصحيفة، وبدأت تلاحق شقيقها حول المائدة، صاحت :

ـ تناول طعامك، كل .

استأذنت آجات. وثبت بول، وأخفى وجهه .

سخرت إليزابيث لاهثة :

ـ انظروا عدم إدراكه، يا لها من بطولة !

ـ تناولى طعامك أنت، أيها البلهاء .

ـ شكرا سأموت، وستكون فى غاية السعادة، سأضع سمنا فى الخزينة .

قال جيرار :

ـ إن رائحته طاغية، أخفية فى علبة من حديد .

لفت إليزابيث الكرة، أخفتها فى علبة كعك ناشف قديمة وانصرفت. وصلت إلى صوان البياضات حيث الخزينة، يتناثر عليه مسدس، والتمثال النصفى ذو الشارب، والكتب، فتحته ووضعت فيه العلبة على صورة دارجولو. وضعتها بعناية وبطء،

تخرج لسانها قليلا، تقوم بحركات سيدة تعمل تعويذة وتغرز دبوسا في دمية من الشمع .

عاد بول بذاكرته إلى حجرة الدراسة، رأى نفسه يقلد دارجولو ولا يتحدث إلا عن الهمجيين والأسهم المسمومة، وحتى يبهره عرض عليه مذبحة بأسلوب وضع السم على صمغ طوابع البريد، كان يتملق الشخص سيىء الأخلاق، ولم يفكر لحظة أن السم قاتل. رفع دارجولو كتفيه، وأعطى له ظهره وعامله كفتاة غير جديرة بالاهتمام .

لم ينس دارجولو هذا الأسير الذى كان يرهف السمع إليه، والآن يتوج سخريته به. آثار وجود الكرة الأخ والشقيقة. حلت بالحجرة قوة خفية. أصبحت قنبلة حية لتمرد المجموعة كإحدى تلك الشابات الروسيات اللاتى كانت صدورهن نجما من الصواعق والحب .

بالإضافة إلى ذلك كان بول مبتهجا لإظهار التصرف الفظ الذى يدعي جيرار (حسب رأى إليزابيث) إنه يحمى منه آجات والتصدى من أجلها .

أما إليزابيث فإنها ابتهجت لرؤية بول وهو يتقبل من قبل الإهانة، والخطر، ويحتفظ بمفهوم الخزينة .

كانت هذه الكرة توحى لها بثقل الجو الحقير، وتجعلها تتمنى انهيارا سريعا لحكم آجات .

ولكن لا تكفى أية تعويذة فى شفاء بول، أصبح شاحبا، نحيفا، فقد شهيته، وتلازمه كآبة مملة .

الهوامش

(١) يقصد بول ، لأن هناك تقاربا في نطق كلمة بول وكلمة كرة بالفرنسية .

(٢) مجموعة جزر ، هاييتي ، جاميكا ، بورتوريكا .

(٣) نوع من نبات عيش الغراب الذى يتكاثر تحت الأرض وهو لذيذ الطعم .

(١٦)

يوم الأحد، احتفظ الفندق بعادة إنجليزية قديمة وهى إتاحة الراحة لكل من بالمنزل. أعدت مارييت الزجاجات الحافظة للحرارة [١] والشطائر المحشوة، وتخرج مع رفيقتها، يأخذ السائق، الذى كان يساعدهما فى التنظيف، إحدى سيارات الأجرة، ويوصل العملاء الذين يقابلهم .

ذلك الأحد، كان الثلج يتساقط . كانت إليزابيث تستريح، حسب أوامر الطبيب، فى حجرتها، وقد أسدلت الستائر . الساعة الخامسة. بول ناعس منذ الظهر، وقد توسل لشقيقته أن تتركه وحده، وأن تصعد إلى حجرتها، وتطيع الطبيب . نامت إليزابيث ورأت هذا الحلم : مات بول، وهى تعبر غابة تشبه الرواق، من بين الأشجار يسقط الضوء من فتحات عليا تفرقها الظلال. رأت طاولة البلياردو، مقاعد وموائد وضعت فى فرجات الغابة، وفكرت : «ينبغى أن أبلغ هذا الجبل المنعزل» فى هذا الحلم، الجبل الصغير هو طاولة البلياردو. كانت تسير، تطير مسافات قصيرة ولم تنجح فى الوصول إليه. رقدت من التعب، استغرقت فى النوم فجأة أيقظها بول. صاحت :

ـ بول ! أوه ! بول ، لم تمت إذن ؟

أجاب بول :

ـ بلى ، لقد مت ، ولكنك كذلك توفيت منذ قليل ، ولذلك تستطيعين رؤيتي وسنعيش دائما سويا .

استأنفا السير ، بعد مسيرة طويلة بلغا الجبل الصغير .

قال بول :

ـ اسمعي ، (وضع إصبعه على مسجل آلى للنقاط) . إسمعي جرس الوداع . إن المسجل يعمل بكل سرعة ، ويملأ فرجات الغابة بضربات مثل ضربات البرقية .

أحست إليزابيث بأنها غارقة فى عرقها ، تائهة ، وهى جالسة على سريرها . ضرب الجرس . تعلم أن الفندق ليس به خدم . تحت تأثير الكابوس ، نزلت طوابق الفندق . دفعت ريح عاتية بيضاء آجات فى البهو ، منكوشة الشعر ، وهى تصيح .

ـ وبول ؟

استعادت إليزابيث نفسها وخرجت من حلمها ، قالت :

ـ ماذا ، بول ؟ ماذا بك ؟ لقد أراد أن يبقى وحده . وأظن أنه نائم كالعادة .

وصلت الزائرة لاهثة [٢] :

ـ بسرعة ، بسرعة ، لنسرع ، لقد كتب لى بأنه ينتحر بالسم ، وأنى سأصل متأخرة جدا ، وأنه أبعدك عن حجرته .

لقد أودعت مارييت الرسالة عن جيران الساعة الرابعة .

اندفعت آجات ، وتساءلت إليزابيث مذهولة لو أنها مازالت

نائمة، لو أن ذلك تكملة لحلمها. أخيرا جرت السيدتان .

فى الرواق، تابعت الأشجار البيضاء والرياح العاتية حلم إليزابيث، وهناك مازال البلياردو هو الجبل الصغير، وآثار زلزال لم تتوصل الحقيقة أن تخرجه من الكابوس .

ـ بول، بول ! أجبنا ! بول !

سكتت الحامل المتلألئة. تفوح رائحة كريهة بمجرد وصولهما تكتشفان الكارثة. تملأ الحجرة رائحة تسبب الكآبة، رائحة كريهة كرائحة نبات لفت الرعد والبصل ونبات الخُبيزة التى تعرفها السيدتان، ووصلت الرائحة إلى الطرقة. بول ممدد، يرتدى بُرنس حمام من الإسفنج مثل شقيقته، حدقتاه متسعتان، ولا يظهر رأسه بوضوح. يحرك الضوء الأبيض، الذى يأتى من أعلى، أماكن الظلال على الوجه الشاحب تبعا لنسمات الريح، يسقط الضوء على أنفه ووجنتيه فقط .

على المقعد، يتقارب بغير نظام ما بقى من كرة السم، ودورق ماء، وصورة دارجولو .

إن إخراج مسرحية مفجعة حقيقية لا تشبه أبدا ما نراه. اختلطت علينا بساطتهم، عظمتهم، وظروف الحادث. كانت السيدتان مذهولتين، وعليهما أن تفترضا وتقبلا المستحيل، وتتحققا من هوية بول الذى لم يتعرفا عليه .

أسرعت آجات، ركعت، وتأكدت أنه يتنفس، واستشفت أن هناك أملا. توسلت :

ـ ليز، لا تظلى ساكتة، ارتدى ثيابك، من الممكن أن يكون

هذا الشيء الفظيع مخدرا، مخدر غير ضار. ابحثي عن الترمس، أسرعي لاستدعاء الطبيب .

تمتمت المسكينة :

ـ الطبيب في الصيد . . اليوم الأحد، لا يوجد أحد .

ـ ابحثي عن الترمس، بسرعة! بسرعة! إنه يتنفس، إنه بارد كالثلج. يلزمنا وعاء، يجب أن يشرب قهوة ساخنة .

اندهشت إليزابيث من حضور ذهن آجات. كيف تدرك حالة بول، وتتكلم، وتفكر؟ كيف تعرف أنه يلزمهما إناء؟ كيف تواجه بقوة متعقلة هذا القدر المحتوم من برودة وموت ؟

تحركت فجأة. إن الترمس في حجرتها .

صاحت من الجهة الأخرى للحامل :

ـ غطيه !

كان بول يتنفس. بعد أربع ساعات من هذه الظاهرة التي جعلته يتساءل لو كان هذا السم مخدرا، ولو كانت جرعة كبيرة من هذا المخدر تكفي لقتله. تجاوز مراحل العذاب. ماتت أطرافه، يترنح، وجد تقريبا راحته القديمة، ولكن الجفاف الداخلي، وعدم وجود اللعاب جعلا حنجرته ولسانه كالخشب، وسببا أثرا شديدا لا يحتمل على أماكن من البشرة مازالت حساسة. حاول أن يشرب، تحرك في اتجاه خاطئ، كان يبحث عن الدورق في أي مكان غير المقعد، وفي الحال شُلّت ساقاه وذراعاه، ولم يعد يتحرك .

في كل مرة، عندما كان يغمض عينيه يشاهد نفس المشهد :

رأس كبش عملاقة بشعر سيدة رمادى. جنود موتى، فُقئت أعينهم، يستديرون ببطء ثم يسرعون كثيرا، متصلبين، حاملين السلاح، حول فروع أشجار، يعوق أقدامهم حزام من الجلد. ارتبطت دقات قلبه بلولب السرير، ويصدر عن ذلك لحن موسيقى. أصبحت ذراعاه أفرعا للأشجار، قشرتها مغطاة بالأوردة الغليظة، يدور الجنود حول هذه الفروع ويتكرر المشهد.

أحيا الإغماء الشديد ذكرى الثلج القديم، السيارة، اللعبة، عندما اصطحبه جيرار إلى شارع مونمارتر. كانت آجات تنتحب:

- بول ! بول ! انظر إلىّ، كلمنى .

يملأ فمه مذاق لاذع. لفظ :

- اشرب ..

كانت شفتاه ملتصقتين، باردتين .

- انتظر قليلا ..

أحضرت إليزابيث الترمس، وملأت غلاية صغيرة للتدفئة .

كرر :

- اشرب ..

كان يريد ماءً بللت آجات شفتيه. توسلت إليه أن يتكلم، وأن يوضح حماقته أخرجت الخطاب من حقيبتها وأظهرته له .

- إنه خطأك، يا آجات ..

- خطئى ؟

عندئذ وضح بول، وهو يفصل مقاطع الكلمات، همس، باح بالحقيقة كاملة. قاطعته آجات، تعجبت، بررت موقفها. انكشفت الخديعة واتضحت أبعادها الملتوية. أدركها المشرف على الموت والزوجة الشابة وتفحصاها وحللا جوانب العملية الشيطانية واحدا بعد الآخر. ظهر فجأة من حوارهما أن ما تسمى إليزابيث هى المجرمة، إليزابيث صاحبة زيارات الليل، الماكرة، إليزابيث العنيدة.

أدركا فى الحال ما فعلته، وصاحت آجات:

ـ يجب أن تعيش!

وكان بول يئن:

ـ بعد فوات الأوان!

عندئذ حضرت إليزابيث بالإناء والترمس، مندفعة خوفا من أن تتركهما وحدهما مدة طويلة. ساد المكان صمت غريب بنفحة كئيبة. أدارت إليزابيث ظهرها ولم ترتاب فى اكتشاف الموضوع. حركت علبا، وقوارير، تبحث عن كوب، ملأته بالقهوة. اقتربت من مخدوعيها. أدهشتها نظراتهما. رفعت إرادة قوية نصف جسم بول الأعلى. ساعدته آجات. ظهرت الكراهية على وجهيهما.

ـ بول، لا تشرب!

أوقفت صيحة آجات حكة إليزابيث التى تذمرت:

ـ أنت مجنونة، كأنى أريد أن أسمه.

ـ أنت قادرة على ذلك.

موت أضيف إلى الموت، فقد سقطت إليزابيث مترنحة. حاولت أن تجيب .

ـ متوحشة، متوحشة قذرة !

تلك العبارة المفزعة التى صدرت عن بول كانت خطيرة للغاية، لأن إليزابيث لم تكن تظن أبدا أن لديه القوة حتى يتكلم ويؤكد مخاوفه وجها لوجه :

ـ متوحشة قذرة ! ـ متوحشة قذرة !

تابع بول، حشرج، وهو يرميها بنظرة غاضبة، وغيظ شديد متواصل، من بين فتحة جفنيه. كان يؤلم فمه الجميل شد عضلى وتشنجات، ويظهر الجفاف الذى يمنع نبع دموعه ويكشف فى عينيه عن هذا البريق المحموم وعن نظرة ذئب فسفورية.

كان الثلج يضرب زجاج النوافذ كالسياط، اندفعت إليزابيث إلى الوراء، وقالت :

ـ حسنا، نعم، هذا صحيح، كنت غيورة، لا أريد أن أفقدك. إنى أكره آجات، ولا أسمح لها أن تنزعك من المنزل .

رفع من شأنها الاعتراف، ألبسها ثوبا فضفاضا، نزع لباس الخديعة. ارجع الاضطراب خصلات شعرها إلى الخلف وكشف عن جبهتها المتوحشة وجعلها أكثر اتساعا وارتفاعا أعلى عينين مملوءتين بالدموع. جابهت وحدها كل من بالحجرة، تحدت آجات وجيرار وبول، تحدت العالم كله .

أمسكت المسدس الموجود على خزينة الصوان، صاحت آجات .

ـ إنها ستطلق النار ! ستقتلنى ! وتشبثت ببول الذى انزعج .

لم تفكر إليزابيث إطلاقا فى إطلاق النار على هذه السيدة الرشيقة . قبضت على المسدس بحركة غريزية لتنهى موقفها كجاسوسة ضاق عليها الخناق ، وقررت أن تدافع عن نفسها ببساطة قبل أن تموت .

تجاه الأزمة العصبية ، وسكرة الموت ، فقدت ميزة تحديها . لم يعد التكبر يفيد فى شىء .

حينئذ رأت آجات ، وهى مشدوهة هذا الأمر المفاجئ : مجنونة تنهار ، اقتربت من المرآة ، تكشر ، تنزع شعرها ، تنظر بطريقة مريبة ، وتخرج لسانها . لم تعد إليزابيث تستطيع التوقف لأن ذلك لا يتناسب مع انفعالها الداخلى ، وعبرت عن جنونها بإشارات صامتة غريبة ، وحاولت أن تجعل الحياة مستحيلة بالإفراط فى السخرية ، والابتعاد عن احتمال الحياة ،وأن تصل إلى اللحظة التى تتخلى فيها المأساة عن مساندتها .

استمرت آجات فى الصياح .

ـ أصبحت مجنونة ! النجدة !

كلمة مجنونة هذه حولت إليزابيث عن المرآة ، كبحت حدة انفعالها ، هدأت . أمسكت السلاح والفراغ بين يديها المرتجفتين ، اعتدلت ورأسها منخفضة .

كانت تعلم أن الحجرة تنزلق نحو نهايتها على منحدر يسبب الدوار ، ولكن هذه النهاية تأخذ طريقها ويجب أن يستسلموا لها . لم يفتر التشدد ، كانت تحسب ، تحصى ،

وتضرب، وتقسم، تتذكر مواعيد، وأرقام عمارات، تجمعها معا، تخطئ فتبدأ من جديد. فجأة تتذكر أن كآبة حلمها تعود إلى بول وفرجيني[٣] حيث كلمة «كآبة» تعنى الجبل الصغير[٤] . تتساءل لو أن موضوع هذا الكتاب يحدث فى جزيرة فرنسا، حلت أسماء الجزر محل الأرقام. جزيرة فرنسا، جزيرة موريس، جزيرة سان لويس [٥]، تلت نصوصا محفوظة، ارتبكت، خلطت الأمور، وصلت إلى حالة من الفراغ والهذيان.

أدهش هدوؤها بول، فتح عينيه. نظرت إليه. واجهت عينين تبتعدان وتنهاران، حل فيهما الفضول الغامض محل الكراهية. أحست إليزابيث بالانتصار عندما أدركت هذا التعبير. أثارتها الغريزة الأخوية، ودون أن تفارق عيناها هذه النظرة الجديدة استأنفت عملها الساكن. كانت تحسب، تحسب، وتتلو على التوالى، وتزيد وقت العبث، توقعت أن بول يفكر مليا، وأنه تحقق من اللعبة، وتذكر الحجرة البسيطة .

أدى الانفعال إلى صحوته. كشفت الخفايا. مارست أوهامها. كل ما اختلقته حتى الآن دون وعى وهى تعمل بجد كالنحلة التى لا تدرك حركتها الآلية كما لا تدرك تأثيرها، تفهمه وتثيره كما ينهض مشلول تحت تأثير حدث شديد .

كان بول يتابعها، كان حاضرا، وهذا واضح، يقينه كان يشكل أساس عمله الذهنى الذى يفوق التصرف. استمرت، استمرت، استمرت، وجذبت بول بحركتها. الآن تأكدت من ذلك، فهو لم يعد يحس أن آجات تتشبث بعنقه، ولم يعد

يسمع أنينها. كيف يتصرف الأخ وشقيقته ليسمعاها؟ كان صراخها يدوى فوق كل الأصوات التى تعد ساحة الموت. صعدا، صعدا جنبا إلى جنب. أخذت إليزابيث فريستها معها. غادرا جحيم أسرة أتريد [٦] فوق أحذية الممثلين الإغريق العالية. الآن لا يكفيها ذكاء الحكمة الإلهية، ولا يستطيعان الاعتماد إلا على نبوغها. أمامها بضع ثوانى من الشجاعة وينتهى بهما الأمر إلى حيث تتحلل الأجساد، وتقترن الأرواح، ويبطل ارتكاب المحارم .

كانت آجات تولول فى مكان آخر وفى زمن آخر، وكان اكتراث إليزابيث وبول بها أقل من اكتراثهما بهزات رقيقة تهز زجاج النوافذ. حل ضوء المصباح الشديد محل الغسق، ما عدا جهة إليزابيث التى تتلقى الضوء الأحمر القانى الصادر عن القماش الأحمر، تتجنبه، تختلق الفراغ، تجر بول نحو ظلام ترى فيه الأشياء بمنتهى الوضوح .

شحب المشرف على الموت، تمدد بجانب إليزابيث، بجانب الثلج، واللعبة، وحجرة طفولتهما. يشده للحياة ارتباطه بشقيقته العذراء، ويقيده تفكيره الفياض بجسده الصلب. كان يميز بصعوبة شقيقته. شخص طويل يناديه باسمه، ولأن إليزابيث مثل العاشقة ترجئ بهجتها منتظرة بهجة الطرف الآخر، فقد وضعت إصبعها على الزناد، تنتظر تشنجات موت أخيها وتصرخ فيه حتى يلحق بها، تناديه باسمه، مترقبة اللحظة الجليلة التى يرتبطان فيها بالموت .

كان بول منهكا، مالت رأسه، اعتقدت إليزابيث أن هذه هي النهاية، وضعت ماسورة المسدس على صدغها وأطلقت، في سقوطها جذبت أحد الحواجز الساترة الذى انهار تحتها بضجة مفزعة، وكشف عن الضوء الشاحب لزجاج النوافذ الأبيض، وأحدث فتحة عميقة كفتحة في سور مدينة قصفتها القنابل، وجعلت من الحجرة التي لا يعرف سرها أحد مسرحا مفتوحا أمام المشاهدين .

يميز بول هؤلاء المشاهدين خلف زجاج النافذة .

بينما انعقد لسان آجات عن الكلام، وماتت هلعا وهي تشاهد جثة إليزابيث تنزف دما، كان بول يميز في الخارج بين قنوات مياه الصقيع والثلج المذاب، الأنوف والخدود والأيدي الحمراء وهي تتصارع في معركة كرات الثلج. لقد تعرف على الوجوه، والحرامل، والكوفيات الصوفية. كان يبحث عن دارجولو، إنه الوحيد الذى لم يلمحه ولم ير إلا حركته، حركته الخطيرة .

ـ بول ! بول ! النجدة !

ترتعد آجات، تنحني، ولكن ماذا تريد؟ ماذا تأمل؟ انطفأت عينا بول، انقطع خيط الحياة، ولم يبق من الحجرة المحلقة إلا رائحة كريهة وسيدة صغيرة على رصيف المارة، تتضاءل، وتبتعد، وتتلاشى .

سان كلو، مارس ١٩٢٩ .

الهوامش

(١) الترمس .

(٢) آجات .

(٣) رواية برنردان دون سان بيير .

(٤) نفس حروف ونطق كلمة (كآبة) في الفرنسية بمعنى (جبل صغير) في رواية بول وفرجيني .

(٥) جزر كانت تحت سيطرة فرنسا .

(٦) أسرة من الأساطير الإغريقية اشتهرت بمآسيها ، منها : أجاممنون ومينيلاس .

المشروع القومى للترجمة

المشـروع القومـى للترجمـة مشـروع تنميـة ثقافيـة بالدرجـة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١ – اللغة العليا (طبعة ثانية) — جون كوين — ت : أحمد درويش
٢ – الوثنية والإسلام — ك. مادهو بانيكار — ت : أحمد فؤاد بلبع
٣ – التراث المسروق — جورج جيمس — ت : شوقى جلال
٤ – كيف تتم كتابة السيناريو — انجا كاريتنكوفا — ت : أحمد الحضرى
٥ – ثريا فى غيبوبة — إسماعيل فصيح — ت : محمد علاء الدين منصور
٦ – اتجاهات البحث اللسانى — ميلكا إفيتش — ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ – العلوم الإنسانية والفلسفة — لوسيان غولدمان — ت : يوسف الأنطكى
٨ – مشعلو الحرائق — ماكس فريش — ت : مصطفى ماهر
٩ – التغيرات البيئية — أندرو س. جودى — ت : محمود محمد عاشور
١٠ – خطاب الحكاية — جيرار جينيت — ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١ – مختارات — فيسوافا شيمبوريسكا — ت : هناء عبد الفتاح
١٢ – طريق الحرير — ديفيد براونيستون وايرين فرانك — ت : أحمد محمود
١٣ – ديانة الساميين — روبرتسن سميث — ت : عبد الوهاب علوب
١٤ – التحليل النفسى والأدب — جان بيلمان نويل — ت : حسن المودن
١٥ – الحركات الفنية — إدوارد لويس سميث — ت : أشرف رفيق عفيفى
١٦ – أثينة السوداء — مارتن برنال — ت : بإشراف / أحمد عتمان
١٧ – مختارات — فيليب لاركين — ت : محمد مصطفى بدوى
١٨ – الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية — مختارات — ت : طلعت شاهين
١٩ – الأعمال الشعرية الكاملة — جورج سفيريس — ت : نعيم عطية
٢٠ – قصة العلم — ج. ج. كراوثر — ت: يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
٢١ – خوخة وألف خوخة — صمد بهرنجى — ت : ماجدة العنانى
٢٢ – مذكرات رحالة عن المصريين — جون أنتيس — ت : سيد أحمد على الناصرى
٢٣ – تجلى الجميل — هانز جيورج جادامر — ت : سعيد توفيق
٢٤ – ظلال المستقبل — باتريك بارندر — ت : بكر عباس
٢٥ – مثنوى — مولانا جلال الدين الرومى — ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦ – دين مصر العام — محمد حسين هيكل — ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ – التنوع البشرى الخلاق — مقالات — ت : نخبة
٢٨ – رسالة فى التسامح — جون لوك — ت : منى أبو سنه
٢٩ – الموت والوجود — جيمس ب. كارس — ت : بدر الديب
٣٠ – الوثنية والإسلام (ط٢) — ك. مادهو بانيكار — ت : أحمد فؤاد بلبع
٣١ – مصادر دراسة التاريخ الإسلامى — جان سوفاجيه – كلود كاين — ت : عبد الستار الحلوجى / عبد الوهاب علوب
٣٢ – الانقراض — ديفيد روس — ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣ – التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية — أ. ج. هوبكنز — ت : أحمد فؤاد بلبع
٣٤ – الرواية العربية — روجر آلن — ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥ – الأسطورة والحداثة — بول . ب . ديكسون — ت : خليل كلفت

٣٦ – نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧ – واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٣٨ – نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩ – الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠ – قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١ – ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ماجد
٤٢ – عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
٤٣ – اللهب المزدوج	أوكتافيو پاث	ت : المهدى أخريف
٤٤ – بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	ت : مارلين تادرس
٤٥ – التراث المغدور	روبرت ج دنيا – جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦ – عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
٤٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث (١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ – حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتى
٤٩ – الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠ – ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١ – مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بياثوبيا وخ. م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
٥٢ – العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣ – الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت . مرسى سعد الدين
٥٤ – المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت . محسن مصيلحى
٥٥ – ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
٥٦ – الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
٥٧ – الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
٥٨ – مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت . محمد أبو العطا
٥٩ – المحبرة	كارلوس مونييث	ت . السيد السيد سهيم
٦٠ – التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
٦١ – موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور – سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
٦٢ – لذّة النّص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
٦٣ – تاريخ النقد الأدبى الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت . مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ – برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥ – فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦ – خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧ – مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدى أخريف
٦٨ – نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩ – العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠ – ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ – السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود

٧٢ – السياسى العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلى
٧٣ – نقد استجابة القارئ	چين . ب . توميكنز	ت : حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤ – صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	ت حسن بيومى
٧٥ – فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت أحمد درويش
٧٦ – چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
٧٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث ج ٢	رينيه ويليك	ت مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨ – العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت . أحمد محمود ونورا أمين
٧٩ – شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	ت . سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠ – بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت · مكارم الغمرى
٨١ – الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوى
٨٢ – مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	ت : محمود السيد على
٨٣ – مختارات	غوتفريد بن	ت خالد المعالى
٨٤ – موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت . عبد الحميد شيحة
٨٥ – منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	ت · عبد الرازق بركات
٨٦ – طول الليل	جمال مير صادقى	ت أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧ – نون والقلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العنانى
٨٨ – الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت . إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩ – الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	ت . أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠ – وسم السيف (قصص)	نخبة من كُتاب أمريكا اللاتينية	ت . محمد إبراهيم مبروك
٩١ – المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
٩٢ – أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجل	ت : نادية جمال الدين
٩٣ – محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
٩٤ – الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت . فوزية العشماوى
٩٥ – مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
٩٦ – ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت . إدوار الخراط
٩٧ – هوية فرنسا (مج ١)	فرنان برودل	ت · بشير السباعى
٩٨ – الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	نماذج ومقالات	ت : أشرف الصباغ
٩٩ – تاريخ السينما العالمية	ديفيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
١٠٠ – مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحى
١٠١ – النص الروائى (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت . رشيد بنحدو
١٠٢ – السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبى	ت . عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣ – قبر ابن عربى يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
١٠٤ – أوبرا ماهوجنى	برتولت بريشت	ت : عبد الغفار مكاوى
١٠٥ – مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	ت : عبد العزيز شبيل
١٠٦ – الأدب الأندلسى	د. ماريا خيسوس روبييرامتى	ت . أشرف على دعدور
١٠٧ – صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة	ت . محمد عبد الله الجعيدى

١٠٨ – ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي — مجموعة من النقاد — ت : محمود على مكى
١٠٩ – حروب المياه — چون بولوك وعادل درويش — ت . هاشم أحمد محمد
١١٠ – النساء فى العالم النامى — حسنة بيجوم — ت : منى قطان
١١١ – المرأة والجريمة — فرانسيس هيندسون — ت · ريهام حسين إبراهيم
١١٢ – الاحتجاج الهادئ — أرلين علوى ماكليود — ت . إكرام يوسف
١١٣ – راية التمرد — سادى پلانت — ت . أحمد حسان
١١٤ – مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع — وول شوينكا — ت · نسيم مجلى
١١٥ – غرفة تخص المرء وحده — فرچينيا وولف — ت سمية رمضان
١١٦ – امرأة مختلفة (درية شفيق) — سينثيا نلسون — ت : نهاد أحمد سالم
١١٧ – المرأة والجنوسة فى الإسلام — ليلى أحمد — ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨ – النهضة النسائية فى مصر — بث بارون — ت : لميس النقاش
١١٩ – النساء والأسرة وقوانين الطلاق — أميرة الأزهرى سنبل — ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠ – الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط — ليلى أبو لغد — ت : نخبة من المترجمين
١٢١ – الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية — فاطمة موسى — ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال
١٢٢ – نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان — جوزيف فوجت — ت : منيرة كروان
١٢٣ – الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية — نيتل الكسندر وقنادولينا — ت. أنور محمد إبراهيم
١٢٤ – الفجر الكاذب — چون جراى — ت : أحمد فؤاد بلبع
١٢٥ – التحليل الموسيقى — سيدريك ثورپ ديڤى — ت . سمحه الخولى
١٢٦ – فعل القراءة — ڤولفانج إيسر — ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧ – إرهاب — صفاء فتحى — ت . بشير السباعى
١٢٨ – الأدب المقارن — سوزان باسنيت — ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩ – الرواية الاسبانية المعاصرة — ماريا دولورس أسيس جاروته — ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠ – الشرق يصعد ثانية — أندريه جوندر فرانك — ت : شوقى جلال
١٣١ – مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى) — مجموعة من المؤلفين — ت : لويس بقطر
١٣٢ – ثقافة العولمة — مايك فينرستون — ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣ – الخوف من المرايا — طارق على — ت : طلعت الشايب
١٣٤ – تشريح حضارة — بارى ج. كيمب — ت : أحمد محمود
١٣٥ – المختار من نقد ت . س . إليوت (ثلاثة أجزاء) — ت. س. إليوت — ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦ – فلاحو الباشا — كينيث كونو — ت . سحر توفيق
١٣٧ – مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية — چوزيف مارى مواريه — ت : كاميليا صبحى
١٣٨ – عالم التليفزيون بين الجمال والعنف — إيڤلينا تارونى — ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ – پارسيفال — ريشارد ڤاچنر — ت : مصطفى ماهر
١٤٠ – حيث تلتقى الأنهار — هربرت ميسن — ت : أمل الجبورى
١٤١ – اثنتا عشرة مسرحية يونانية — مجموعة من المؤلفين — ت : نعيم عطية
١٤٢ – الإسكندرية : تاريخ ودليل — أ. م. فورستر — ت : حسن بيومى
١٤٣ – قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى — ديريك لايدار — ت : عدلى السمرى
١٤٤ – صاحبة اللوكاندة — كارلو جولدونى — ت : سلامة محمد سليمان

العنوان	المؤلف	المترجم
١٤٥ – موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦ – الورقة الحمراء	ميجيل دى ليبس	ت : على عبد الرؤوف اليمبى
١٤٧ – خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	ت : عبد الغفار مكاوى
١٤٨ – القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكى أندرسون إمبرت	ت : على إبراهيم على منوفى
١٤٩ – النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٥٠ – التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت: منيرة كروان
١٥١ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان بروديل	ت : بشير السباعى
١٥٢ – عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكُتّاب	ت : محمد محمد الخطابى
١٥٣ – غرام الفراعنة	فيولين فانويك	ت : فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ – مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥ – الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦ – المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت ڤيرمو	ت : مى التلمسانى
١٥٧ – خسرو وشيرين	النظامى الكنوجى	ت : عبد العزيز بقوش
١٥٨ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢)	فرنان بروديل	ت : بشير السباعى
١٥٩ – الإيديولوجية	ديڤيد هوكس	ت : إبراهيم فتحى
١٦٠ – آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت : حسين بيومى
١٦١ – من المسرح الإسبانى	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت : زيدان عبد الحليم زيدان
١٦٢ – تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسيوى	ت : صلاح عبد العزيز محجوب
١٦٣ – موسوعة علم الاجتماع ج ١	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
١٦٤ – شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	ت : نبيل سعد
١٦٥ – حكايات الثعلب	أ . ن أفانا سيفا	ت : سهير المصادفة
١٦٦ – العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليڤمان	ت : محمد محمود أبو غدير
١٦٧ – فى عالم طاغور	رابندرانات طاغور	ت : شكرى محمد عياد
١٦٨ – دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت : شكرى محمد عياد
١٦٩ – إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت : شكرى محمد عياد
١٧٠ – الطريق	ميغيل دليبيس	ت : بسام ياسين رشيد
١٧١ – وضع حد	فرانك بيجو	ت : هدى حسين
١٧٢ – حجر الشمس	مختارات	ت : محمد محمد الخطابى
١٧٣ – معنى الجمال	ولتر ت . ستيس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ – صناعة الثقافة السوداء	إيليس كاشمور	ت : أحمد محمود
١٧٥ – التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ – نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
١٧٧ – أنطون تشيخوف	هنرى ترويا	ت : حصة إبراهيم منيف
١٧٨ – مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	ت : محمد حمدى إبراهيم
١٧٩ – حكايات أيسوب	أيسوب	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ – قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت : سليم عبدالأمير حمدان
١٨١ – النقد الأدبى الأمريكى	فنسنت . ب . ليتش	ت : محمد يحيى

العنوان	المؤلف	المترجم
١٨٢ – العنف والنبوءة	و . ب . ييتس	ت : ياسين طه حافظ
١٨٣ – چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه چيلسون	ت : فتحى العشرى
١٨٤ – القاهرة . حالمة لا تنام	هانز إيندورفر	ت : دسوقى سعيد
١٨٥ – أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت . عبد الوهاب علوب
١٨٦ – معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل أنوود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ – الأرضة	بُزُرْج علَوى	ت . علاء منصور
١٨٨ – موت الأدب	ألڤين كرنان	ت · بدر الديب
١٨٩ – العمى والبصيرة	پول دى مان	ت . سعيد الغانمى
١٩٠ – محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت . محسن سيد فرجانى
١٩١ – الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت مصطفى حجازى السيد
١٩٢ – سياحتنامه إبراهيم بيك	زين العابدين المراغى	ت محمود سلامة علاوى
١٩٣ – عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت محمد عبد الواحد محمد
١٩٤ – مختارات من النقد الأنجلو – أمريكى	مجموعة من النقاد	ت : ماهر شفيق فريد
١٩٥ – شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
١٩٦ – المهلة الأخيرة	فالنتين راسبوتين	ت · أشرف الصباغ
١٩٧ – الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	ت : جلال السعيد الحفناوى
١٩٨ – الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	ت . إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩ – تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداوى	ت : جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠ – ضحايا التنمية	جيرمى سيبروك	ت : فخرى لبيب
٢٠١ – الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٢٠٢ – تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ٤	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣ – الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	ت : جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤ – تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	ت : أحمد محمود هويدى
٢٠٥ – الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى – سفورزا	ت : أحمد مستجير
٢٠٦ – الهيولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	ت : على يوسف على
٢٠٧ – ليل إفريقى	رامون خوتاسنديز	ت · محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨ – شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	ت : محمد أحمد صالح
٢٠٩ – السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت . أشرف الصباغ
٢١٠ – مثنويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١ – فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	ت · محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢ – قصص الأمير مرزبان	مرزبان بن رستم بن شروين	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١٣ – مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبد الناصر	ريمون فلاور	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢١٤ – قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	ت : محمد محمود محى الدين
٢١٥ – سياحت نامه إبراهيم بيك جـ٢	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢١٦ – جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٧ – مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت	ت : نادية البنهاوى
٢١٨ – رايولا	خوليو كورتازان	ت : على إبراهيم على منوفى

٢١٩ – بقايا اليوم	كازو ايشجورو	ت : طلعت الشايب
٢٢٠ – الهيولية فى الكون	بارى باركر	ت : على يوسف على
٢٢١ – شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	ت : رفعت سلام
٢٢٢ – فرانز كافكا	رونالد جراى	ت : نسيم مجلى
٢٢٣ – العلم فى مجتمع حر	بول فيرابند	ت : السيد محمد نفادى
٢٢٤ – دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت : منى عبد الظاهر إبراهيم السيد
٢٢٥ – حكاية غريق	جابرييل جارثيا ماركث	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٦ – أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	ت : طاهر محمد على البربرى
٢٢٧ – المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	موسى ماردينا ديف بوركى	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٨ – علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت : مارى تيريز عبد المسيح وخالد حسن
٢٢٩ – مأزق البطل الوحيد	نورمان كيمان	ت : أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠ – عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١ – الدرافيل	خايمى سالوم بيدال	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٢٣٢ – مابعد المعلومات	توم ستينر	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣ – فكرة الاضمحلال	أرثر هيرمان	ت : طلعت الشايب
٢٣٤ – الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	ت : فؤاد محمد عكود
٢٣٥ – ديوان شمس تبريزى ج١	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦ – الولاية	ميشيل تود	ت : أحمد الطيب
٢٣٧ – مصر أرض الوادى	روبين فيدين	ت : عنايات حسين طلعت
٢٣٨ – العولمة والتحرير	الانكتاد	ت : ياسر محمد جاد الله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩ – العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلارافر – رابوخ	ت : نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠ – الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامى حافظ	ت : صلاح عبد العزيز محمود
٢٤١ – فى انتظار البرابرة	ك. م كويتز	ت : ابتسام عبد الله سعيد
٢٤٢ – سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	ت : صبرى محمد حسن عبد النبى
٢٤٣ – تاريخ إسبانيا الإسلامية جـ١	ليفى بروفنسال	ت : مجموعة من المترجمين
٢٤٤ – الغليان	لاورا إسكيبيل	ت : نادية جمال الدين محمد
٢٤٥ – نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	ت : توفيق على منصور
٢٤٦ – قصص مختارة	جابرييل جرثيا ماركث	ت : على إبراهيم على منوفى
٢٤٧ – الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	وولتر أرمبرست	ت : محمد الشرقاوى
٢٤٨ – حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٢٤٩ – لغة التمزق	دراجو شتامبوك	ت : رفعت سلام
٢٥٠ – علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ت : ماجدة أباظة
٢٥١ – موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
٢٥٢ – رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت : على بدران
٢٥٣ – تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	ت : حسن بيومى
٢٥٤ – الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥ – أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام

٢٥٦ – ديكارت	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧ – تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	ت : محمود سيد أحمد
٢٥٨ – الغجر	سير أنجوس فريزر	ت : عُبادة كُحيلة
٢٥٩ – مختارات من الشعر الأرمنى	نخبة	ت : ڤاروچان كازانچيان
٢٦٠ – موسوعة علم الاجتماع ج٢	جوردون مارشال	ت بإشراف محمد الجوهرى
٢٦١ – رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢ – مدينة المعجزات	إدوارد مندوثا	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٦٣ – الكشف عن حافة الزمن	چون جريبن	ت : على يوسف على
٢٦٤ – إبداعات شعرية مترجمة	هوراس / شلى	ت : لويس عوض
٢٦٥ – روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصمويل جونسون	ت : لويس عوض
٢٦٦ – مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت : عادل عبد المنعم سويلم
٢٦٧ – فن الرواية	ميلان كونديرا	ت : بدر الدين عرودكى
٢٦٨ – ديوان شمس تبريزى ج٢	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج١	وليم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧٠ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج٢	وليم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧١ – الحضارة الغربية	توماس سى . باترسون	ت : شوقى جلال
٢٧٢ – الأديرة الأثرية فى مصر	س. س. والترز	ت : إبراهيم سلامة
٢٧٣ – الاستعمار والثورة فى الشرق الأوسط	جوان آر. لوك	ت : عنان الشهاوى
٢٧٤ – السيدة بربارا	رومولو جلاجوس	ت : محمود على مكى
٢٧٥ – ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	أقلام مختلفة	ت : ماهر شفيق فريد
٢٧٦ – فنون السينما	فرانك جوتيران	ت : عبد القادر التلمسانى
٢٧٧ – الچينات الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت : أحمد فوزى
٢٧٨ – البدايات	إسحق عظيموف	ت ظريف عبد الله
٢٧٩ – الحرب الباردة الثقافية	فرانسيس ستونر سوندرز	ت : طلعت الشايب
٢٨٠ – من الأدب الهندى الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	ت : سمير عبد الحميد
٢٨١ – الفردوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى	ت : جلال الحفناوى
٢٨٢ – طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبيرت	ت : سمير حنا صادق
٢٨٣ – السهل يحترق	خوان روافو	ت : على البمبى
٢٨٤ – هرقل مجنوناً	يوريبيدس	ت : أحمد عتمان
٢٨٥ – رحلة الخواجة حسن نظامى	حسن نظامى	ت : سمير عبد الحميد
٢٨٦ – رحلة إبراهيم بك ج٣	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢٨٧ – الثقافة والعولمة والنظام العالمى	أنتونى كينج	ت : محمد يحيى وآخرون
٢٨٨ – الفن الروائى	ديفيد لودج	ت : ماهر البطوطى
٢٨٩ – ديوان منجوهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	ت : محمد نور الدين
٢٩٠ – علم الترجمة واللغة	جورج مونان	ت : أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١ – المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج١	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر
٢٩٢ – المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج٢	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر

٢٩٣ – مقدمة للأدب العربى	روجر آلان	ت : نخبة من المترجمين
٢٩٤ – فن الشعر	بوالو	ت : رجاء ياقوت صالح
٢٩٥ – سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	ت : بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦ – مكبث	وليم شكسبير	ت : محمد مصطفى بدوى
٢٩٧ – فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس – يوسف الأهوانى	ت : ماجدة محمد أنور
٢٩٨ – مأساة العبيد	أبو بكر تفاوابليوه	ت : مصطفى حجازى السيد
٢٩٩ – ثورة التكنولوجيا الحيوية	جين ل. ماركس	ت : هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠ – أسطورة بروميثيوس مج١	لويس عوض	ت : جمال الجزيرى وبهاء چاهين
٣٠١ – أسطورة بروميثيوس مج٢	لويس عوض	ت : جمال الجزيرى ومحمد الجندى
٣٠٢ – فنجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣ – بـوذا	جين هوب وبورن فان لون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤ – ماركس	ريـوس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥ – الجلد	كروزيو مالابارته	ت : صلاح عبد الصبور
٣٠٦ – الحماسة – النقد الكانطى للتاريخ	چان – فرانسوا ليوتار	ت : نبيل سعد
٣٠٧ – الشعور	ديڤيد بابينو	ت : محمود محمد أحمد
٣٠٨ – علم الوراثة	ستيف جونز	ت : ممدوح عبد المنعم أحمد
٣٠٩ – الذهن والمخ	انجوس چيلاتى	ت : جمال الجزيرى
٣١٠ – يونج	ناجى هيد	ت : محيى الدين محمد حسن
٣١١ – مقال فى المنهج الفلسفى	كولنجوود	ت : فاطمة إسماعيل
٣١٢ – روح الشعب الأسود	وليم دى بويز	ت : أسعد حليم
٣١٣ – أمثال فلسطينية	خايير بيان	ت : عبد الله الجعيدى
٣١٤ – الفن كعدم	جينس ميتيك	ت : هويدا السباعى
٣١٥ – جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو	ت :كاميليا صبحى
٣١٦ – محاكمة سقراط	آ. ف. ستون	ت : نسيم مجلى
٣١٧ – بلا غد	شير لايموفا – زنيكين	ت : أشرف الصباغ
٣١٨ – الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	نخبة	ت : أشرف الصباغ
٣١٩ – صور دريدا	جايترى اسبيفاك وكرستوفر نوريس	ت : حسام نايل
٣٢٠ – لمعة السراج فى حضرة التاج	محمد روشن	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٢١ – تاريخ إسبانيا الإسلامية ج٢	ليفى برو فنسال	ت : نخبة من المترجمين
٣٢٢ – التأريخ الغربى للفن الحديث	ديليوجين كلينباور	ت : خالد مفلح حمزة
٣٢٣ – فن الساتورا	تراث يونانى قديم	ت : هانم سليمان
٣٢٤ – اللعب بالنار	أشرف أسدى	ت : محمود سلامة علاوى
٣٢٥ – عالم الآثار	فيليب بوسان	ت : كرستين يوسف
٣٢٦ – المعرفة والمصلحة	جورجين هابرماس	ت : حسن صقر
٣٢٧ – مختارات شعرية مترجمة	نخبة	ت : توفيق علي منصور
٣٢٨ – يوسف وزليخة	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٣٢٩ – رسائل عيد الميلاد	تد هيوز	ت : محمد عيد إبراهيم

العنوان	المؤلف	المترجم
٣٣٠ – كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	ت : سامي صلاح
٣٣١ – عندما جاء السردين	ستيفن جراي	ت : سامية دياب
٣٣٢ – القصة القصيرة في اسبانيا	نخبة	ت : على إبراهيم على منوفي
٣٣٣ – الإسلام في بريطانيا	نبيل مطر	ت : بكر عباس
٣٣٤ – لقطات من المستقبل	آرثر س. كلارك	ت : مصطفى فهمي
٣٣٥ – عصر الشك	ناتالي ساروت	ت : فتحي العشري
٣٣٦ – متون الأهرام	نصوص قديمة	ت : حسن صابر
٣٣٧ – فلسفة الولاء	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصاري
٣٣٨ – قصص قصيرة من الهند	نخبة	ت : جلال السعيد الحفناوي
٣٣٩ – تاريخ الأدب في إيران جـ٣	على أصغر حكمت	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٤٠ – اضطراب في الشرق الأوسط	بيرش بيربيروجلو	ت : فخري لبيب
٣٤١ – قصائد من رلكه	راينر ماريا رلكه	ت : حسن حلمي
٣٤٢ – سلامان وأبسال	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٣٤٣ – العالم البرجوازي الزائل	نادين جورديمر	ت : سمير عبد ربه
٣٤٤ – الموت في الشمس	بيتر بلانجوه	ت : سمير عبد ربه
٣٤٥ – الركض خلف الزمن	بونه ندائي	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٤٦ – سحر مصر	رشاد رشدي	ت : جمال الجزيري
٣٤٧ – الصبية الطائشون	جان كوكتو	ت : بكر الحلو



رقم الإيداع : ٥٠٨١ / ٢٠٠٢

شركة الأمل للطباعة والنشر
(مورافيتلى سابقاً)





JEAN COCTEAU

Les Enfants terribles

عند خروج مدرسة كوندورسيه صرعت بول كرة من الثلج قذفها معبوده دارجولو،ديك المدرسة؛ لأنه ضعيف لم يذهب إلى المدرسة، تهتم به شقيقته في حجرتها، إنها سفينة خيالية تبحر كل مساء إلى أقطار بعيدة.

لم يستطع جيرار الذي يحب إليزابيث، ولا آجات التي تحب بول أن يمنعا الأخ وشقيقته أن يتحابا ويدمرا بعضهما.

■ هذا العمل المهم لجان كوكتو هو حكاية خيالية قصة لشاعر أصبح موضوعها نشيداً،

الحجرة محراب يحتفلون فيه بشعائر الحب والمو
هناك قديسة ،وخزينة ،ومعذبون ضحايا ،وتعويذة ولغ